الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة

التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو القاسم سعد الله –الجزائر2-

كلّية العلوم الإنسانية و الاجتماعية قسم:

التاريخ

المشرق العربي من خلال "ألفونس دو لمارتين" وكتابه

(رحلة إلى المشرق:1832-1833)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص: حديث ومعاصر

إعداد الطالبة : وردةحطابي تحت إشراف : أ. د فتيحة الوليش

لجنة المناقشة

أ.د/ سعيود ابراهيم .....رئيسا

أ.د/ الوليش فتيحة.....مشرف مقرر

أ.د/ الغالي غربي.....عضو مناقش السنة

الجامعية

2018/2017

اه.....داء

الى من كانا سببا في وجودي *والداي* أدامهما الله * الى من

كانا لي عونا وسندا في طفولتي جدّي وجدّتي

*رحمهما الله *

الى رفيق دربي وسندي وّ سر ارادتي وعزيمتي

زاب.....ح

الى ف.لّذات ك....بدي * إسلام* ت...وفيق * عائشة* ياسين* الى روح

فقيد العلم أستاذنا وقدوتنا * أبو الق.اسم سعد الله*

الى كلّ من شجعنّي من اخوتي وأخواتي، الى أصدق.ائي،

أق.اربي وزملائي

ش.....كرا"

وردة

كلمة شكر وعرف.ان

* من علّمني حرف.ا صرت له عبدا* كيف لا وقد أفضتم علينا بالعلم ما ملكتم

والنّصح ما قدّرتم *

الى أستاذتي "فتيحة الواليش" الّتي شجّعتني على إتمام العمل ف.لم تبخل علّي بالنّصح والتّوجيه

منذ البداية، أشكر لكي صبرك وتفهمّك.

الى أستاذي العزيزين " الأستاذ غالي الغربي" و "الأستاذة نادية طرشون"

واللّذان لم يتأخرا في مدّ

يد المساعدة متى طلبتها. شكرا لكما.

الى كلّ من شجّعني ولو بكلمة

المـــــقدّمـــة

- أهمّية البـــحث
- دوافـــع اختيار الموضوع
- الإشكاليات الرّئيسية و الفرعية - قائمة لأهّم المصادر و المراجع - خـــطّة البـــحث

الـــــمقدمــة

المـــــقدمة :

- **أهميّـة البحث:** اهتّم العديد من المؤرّخين على اختلاف مدارسهم وتياراتهم الفكرية وجنسياتهم بدراسة تاريخ الشّرق عبر مختلف المراحل والعصور، وتعدّ الفترة الحديثة من أكثر الفترات الحافلة بالأحداث والتّطورات الّتي حدّدت مصير المنطقة برّمتها، ومصير الدّولة العثمانية الّتي كانت على مشارف الانهيار والسّقوط.

من خلال هذا البحث سنحاول تسليط الضّوء على أهّم الدّراسات الغربية وعلى وجه الخصوص **الفرنسية** منها والّتي لم تكن في بداية الأمر دراسات أكاديمية بأتّم مفهوم الكلمة، بل كانت في سياق اهتمام الطّبقة السّياسية والمثّقفة الأوربية عموما والفرنسية خاصّة بمنطقة الشّرق وما كان يجري فيها من أحداث، واستغلال ذلك في تكوين **المعرفة بالآخر** حتّى تحدّد آليات ووسائل التّدخل.

والمعروف أيضا عن هذه الدّراسات الغربية المهتّمة بالشّرق أنّها انفردت في التّسمية فشكلّت ضمن المدارس والاتجاهات التّاريخية تخصّصا قائما بحّد ذاته بل منهجا ومدرسة تاريخية قائمة هي الأخرى بذاتها أخذت اسم **الاستش ارق** ومن خلال هذا البحث سأّركز اهتمامي أكثر على الاستشراق الفرنسي خلال النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر ممثّلا في الأعمال الّتي قدّمها الشّاعر والسيّاسي الفرنسي **ألفونس دو لمارتين** في هذا المجال من خلال الرّحلة الّتي قام بها نحو الشّرق ما بين **(2381-2388)** وسجلّها في كتابه الصّادر سنة **2381** بعنوان **" ذكريات ، انطباعات ، أفكار و مناظر أثناء رحلة الى الشّرق (2381-2388)** " أو " **ملاحظات رحّالة** " ليكون لنا هذا الكتاب نموذجا اعتمدت عليه في اكتشاف دور و مساهمة **أدب الرّحلة** في الاستشراق الفرنسي خلال القرن 11م.

ولنتمكّن من ذلك، كان من الضّروري أن ندرس الّرحلة ونطلّع على أهم التّفاصيل والملاحظات الّتي سجلّها لمارتين عبر مختلف الأماكن والمواقع الّتي توّقف عندها واخترت في

ذلك ثلاث محطّات نقلت من خلالها أهّم ما كتبه عنها لمارتين وهي: **اليونان، الشّام** وركّزت فيه على **لبنان، سوريا وفلسطين** ثمّ **تركيا** والعاصمة **إسطنبول.**

وفي آخر مرحلة من البحث سأبرز العلاقة بين هذه الرّحلة والاستشراق من خلال الكشف عن قيمتها التّاريخية والسيّاسية، لأنهي العمل بخاتمة تتضمن أهّم ما توّصلت اليه من نتائج وكذا قائمة بأسماء المصادر والمراجع ذات العلاقة بالبحث، ثمّ قائمة الملاحق وأخيرا
فهرس يتضّمن عناوين البحث ومراحله.

- **دوافع اختيار المـــوضوع:** لطالما تداولت أمام مسامعنا كلمة الاستشراق، ولطالما اعتقدنا أنّ المستشرقين هم مجموعة من المؤرّخين المسيحيين إمّا أن درسوا الدّيانة والمعتقد الإسلامي، وامّا أن أقاموا وعاشوا في أرض الإسلام، فتأثّروا به لدرجة جعلت الكثير منهم يعتنقونه. أو عكس ذلك تماما، فتجدهم حاقدين وكارهين للإسلام والمسلمين فكرّسوا حياتهم وأعمالهم من أجل تشويه صورة الإسلام والمساس بركائزه خاصّة ما تعلّق بحياة الرّسول (ص).

لذا نجد موضوع الاستشراق يكتنفه الكثير من الغموض، ضف الى هذا نجد انقساما كبيرا في أوساط المؤرّخين والمفكرّين العرب والمسلمين في رؤيتهم للكتابات والأعمال الاستشراقية فمنهم من يرى أنّه لا مانع من الاطلاع عليها أو الاستعانة بها في دراسة التّاريخ الإسلامي ومنهم من يرفض تماما حتّى فكرة الاطلاع عليها. كلّ ذلك شكّل لدينا الّرغبة في دراسة الموضوع بشكل منهجي وأكاديمي يجعلنا نلّم بمختلف جوانبه وأبعاده خاصّة وأنّه من المواضيع الفكرية والتّاريخية ذات الحساسية كونه وجه من أوجه الصرّاع الحضاري بين الشّرق والغرب وبين المسيحية والإسلام.

وانطلاقا ممّا سبق ذكره وجدت نفسي أمام العديد من التّساؤلات والإشكاليات ذات العلاقة بالموضوع منها الإشكالية الرّئيسية التّالة:

- مـــا هو الاستشراق؟ ماهي مختلف المفاهيم والتعّريفات المقدّمة لهذا المجال المعرفي؟

- متى ظهرت أوّل الدّراسات الاستشراقية؟ ماهي دوافعه وأهدافه؟ ماهي وسائله؟

- ماهي الخدمات الّتي قدّمها الاستشراق للغرب؟ وبالخصوص الاستشراق الفرنسي خلال القرن 11م؟

أمّا **الإشكاليات الفرعية** الّتي تندرج ضمن الإشكالية الرّئيسية فهي:

- ما هــو أدب الرّحلة؟ متى ظهر وكيف تطّور؟ ما مـــــوضع أدب الـرّحلة من الاستشراق؟

- كيف كان لأدب الرّحلة في فرنسا دورا في الاستشراق خلال القرن التّاسع عشر؟

- من هو لمارتين؟ لماذا قرّر التّرحال باتّجاه الشّرق؟ ماهي أهّم المحطّات المسجلّة في مسار رحلته؟

- فيم تكمن قيمة هذه الرّحلة من النّاحية التّاريخية؟ وفيم تكمن قيمتها السيّاسية؟ ومن ثمّة هل تصنّف الرّحلة ضمن الأعمال الاستشراقية أم لا؟

وحتّى يتّسم الموضوع بصفة البحث الأكاديمي ارتأينا اتّباع الخطّة التّالية:

- خـــــطّة البـــحث :

الفصــل الأوّل : الاســـتش ارق و أدب الرّحــلة المبحث

الأوّل : الاســـــتش ارق

- مــفهومه (لغـة و اصطلاحا) -

جـذوره ، دوافـعه و أهدافــه

- مـــــؤسّـساته

- الاستشراق الفرنسي في القرن 11م

المبحث الثّــاني: أدب الرّحــلة

- مــفهومه ، النّــشأة و التّطور

- أدب الرّحلة الفرنسي و علاقته بالاستشراق

خلال القرن 11م

الفـــصل الثّـــاني : لمـــارتين ، حيــاته و أعـماله

المبحـث الأوّل : لـــمارتين

- حـياة لمـارتين (من مولده الى وفــاته)

- أعماله و آثاره (الأدبية ،التّاريخية، السياسية)

الفــصل الثّــالـث: رحلة لمـارتين الى الشّـرق

(2388-2381)

- المبحـث الأوّل : الرّحـــلة -

دوافــعها، الاستعداد والانطلاق -

المبحـث الثّــاني : المحطّـات - الكـبرى للرّحلة

اليـــــونان

- الشّـــــام (لبنان، فلسطين، سوريا)

- تـــركيا (اسطنبـول)

الفــصل الـآربع : القيـمة التّاريخية و السّياسية للرّحلة

- المبحـث الأوّل :- - القيــمة التّــاريخية للرّحــلة القــيمة

المبحـث الثّـاني :- السّـياسية للرّحــلة

- خـــــــــاتمة .

- قـــائمة المـصادر و المـ ارجع - قـــائمة

المــلاحــق

- الفـــهرس

- أهـــــــّم مـــصادر ومـ ارجع البحـث:

وحتّى أتّمكن من الإلمام بمختلف جوانب الموضوع كان من الضّروري الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع الّتي تخدمنا وتساعدنا على ذلك سواء كانت باللّغة العربية أو باللّغة الأجنبية خاصّة الفرنسية منها، كما تجدر الإشارة هنا الى كون هذا النّوع من الدّراسة يعتمد بدرجة أولى على **كتاب الرّحلة** الّذي هو أساس الموضوع وهو:

" ذكريات، انطباعات، أفـكار ومناظـر أثناء رحلة الى الشّرق (2381-2388)" أو**"ملاحـظـات رحّـالة "**، والّذي صدرت نسخته الأولى الأصلية بتاريخ **6** أفريل **2381** م عن مطابع **(غوسلان وفورن)** و هي موجودة اليوم بالمكتبة الوطنية الفرنسية في أربعة أجزاء ، ونظرا لتعذّر وصولنا الى هذه النّسخة إلّا الكترونيا اعتمدت على الطّبعة الحديثة لكتاب الرّحلة ، وهي طبعة مقدّمة و منقحّة و محققّة من طرف (**صوفي بـاخ)** وهي أستاذة ألمانية مختّصة في الدّراسات الاستشراقية و قدّمت الكثير من الأعمال الأكاديمية في هذا المجال خاصّة ما تعلّق **بلمـارتين** منها : دراسة أكاديمية قامت بها مع **(هنري لورنس)** جمعا و درسا فيها أهّم خطابات لمارتين السّياسية حول المسألة الشّرقية، صدرت هذه الدّ ارسة سنة **1122** م عن مطبعة **(أندريه فرساي)** بعنوان **" المسألـة الشّرقية : مقالات وخطابات "** وقد اعتمدت عليها هي الأخرى في توضيح القيمة التّاريخية والسّياسية للرّحلة .

بالإضافة الى ما سبق اطّلعت أيضا على بعض المراسلات الّتي أجراها لمـارتين مع بعض الأقارب والأصدقاء أهّمها: **م ارسلات لمـارتين فيريو (2313-2382).** هذا واعتمدت أيضا في بحثي على عدد من المراجع خاصّة ما تعلّق بالاستشراق وتحديد

مفاهيمه المختلفة واكتشاف مختلف مؤسّساته وغاياته أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب " **الاست اشرق، المفاهيم الغربية للشّرق" لإدوارد سعيد** وقد ساعدني على تحديد مفهوم الاستش ارق وأبرز م ارحل تطوّره من خلال الوسائل والغايات، وأيضا ما يتعلّق بالاستش ارق الفرنسي خلال القرن التّاسع عشر فقد كانت **لإدوارد سعيد** رؤيته الخاصّة.

هذا دون أن أهمل بعض الدّراسات والأبحاث الأكاديمية والجامعية والّتي تناولت الموضوع من زوايا ورؤية أخرى أذكر على سبيل المثال: رسالة لنيل شهادة الدكتوراه عن جامعة **(ليون 1)** بفرنسا لـ: **منى السّيد** بعنوان " **الشّــرق عند بعض الأدباء الفرنسيين: لمارتين – بيراس – بونوا** ".

وأتمنى في الأخير أن أوّفق في انجاز هذا البحث المتواضع وفي بلوغ الأهداف المرجوّة منه.

الفـصل الأوّل

الاستشراق وأدب الرّحـــــــلة

1- الاستشراق:

- مفهـــــومه (لغة و اصطلاحا) -

جـذوره، دوافعه وأهــدافه

- مـــــــــؤسّســـاته

- الاستشراق الفرنسي في القرن 11م

2 – أدب الـــرّحـــلة:

- مـــفهومه وتطّـوره

- أدب الـرّحلة الفرنسي وعلاقته بالاستشراق خلال القرن11م

الفصل الأول: الاستشراق وأدب الرّحلة

1- الاســـتشراق:

يعبّر هذا المصطلح عن أسلوب تفكير ونظرة غربية تجّاه كلّ ما هو شرقي، أي كلّ مصدره من ما كان الشّرق، والّذي كان يقصد به: الصّين والهند أي ما عرف حديثا بالشّرق الأدنى، أو إيران، تركيا، الحجاز، الشّام ومصر أي الشّرق الأوسط أو شمال افريقيا أي المغرب العربي.

كما تعود الجذور الأولى لطرح هذا المصطلح ما سنفصل فيه لاحقا الى أولى الاتصالات بين العالمين: الغرب المسيحي والشّرق الإسلامي في أوّل شكل لها وهو الحروب الصّليبية، وأخذ في التّطور والتّقدم عبر الزّمن وصولا الى العصور الحديثة خاصّة القرنين الثّامن والتّاسع عشر. وقد ساهمت في ذلك التّطورات السّريعة الّتي شهدتها العلاقات بين العالمين،

هنا بدأ مصطلح الاستشراق يتبلور أكثر ويتشّعب في مواضيعه واهتماماته ليتحوّل الى تخصّص علمي وأكاديمي قائم بذاته وفرع من الدّراسات الجامعية عبر مختلف الجامعات الغربية (أوربا وأمريكا) الى غاية القرن الماضي.

كما أصبح الاستشراق خلال القرنين الماضيين يمتلك العديد من الوسائل والمؤسّسات الّتي ينشط من خلالها وأصبحت مواضيعه تتصّف بالشّمولية الموضوعاتية كأن يجمع بين الدّين والسّياسة أو الدّين والاقتصاد أو الدّين والثّقافة أو الدّين والمجتمع، الأمر الّذي وّلد حتمية التّصنيف في المواضيع وفي المجال الجغرافي بوعي ودّقة.

- **مفهـــــــــــــوم :**

- **لـــــــــــغة :** وردت كلمة الاستشراق في شكل مصدر على وزن **استفعال** فالأصل ثمّ أضيفت هو: **الشّرق** الحروف الثّلاثة: الألف ،السّين و التّاء فأصبح المعنى في هذه الحالة هو طلب الشّرق أي طلب المعرفة به [1]

كما ورد أيضا في **المعجم الوسيـط:** شرقت الشّمس شرقا وشروقا أي طلعت من الشّرق، وفي لسان العرب: شرقت الشّمس أي طلعت واسم الموضع (المكان) هو: المشرق، والتّشريق يعني الأخذ في اتّجاه الشّرق وكلّ ما طلع من المشرق فقد شَرُقَ.[2]

أمّا في اللّغة اللّاتينية فيشار الى الشّرق بكلمة Orient وهي للكلمة أو جذر الفعلOrienter : وّجه أو هدى أو أرشد. كما تعني في الانجليزية مثلا كلمة Orientation: توجيه الحواس أو علاقة ما في مجال معيّن أو اتّجاه معيّن. [3] من هنا يتبيّن لنا أنّ الاستشراق من النّاحية اللّغوية يرتبط أكثر بالمدلول الجغرافي أو **الاتجاه هو الشّرق.**

- **اصـطلاحا:** يرى العديد من المختّصين والمهتّمين بالدّراسات الاستشراقية خاصّة الغربيين منهم أنّ هذا المجال المعرفي الّذي نشأت لأجله المعاهد والكليّات والأقسام العلمية قد ظهر منذ القرن 71 م في تفاوت بين الدّول الأوربية، لكن ما هو ميّقن أنّ البحث في لغات الشرق وأديانه خاصّة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، وهو أكثر المجالات اهتماما من قبل المستشرقين مثلما عرّف ذلك المستشرق الإنجليزي **أربيري** وذكره في معجم **أكسفورد:** إنّ الاستشراق هو الإبحار في لغات الشّرق وآدابه. [4]

---

[7] مازن بن صلاح المطبقاني: الاستشراق والاتّجاهات الفكرية في التّاريخ الاسلامي، مكتبة الفهد الوطنية. الرّياض، 7991. ص3.

[2] المعجم الوسيط، الجزء7. مجمّع اللّغة العربية، القاهرة. ص282. [3] مازن المطبقاني: الاستشراق والاتّجاهات الفكرية.ص 3.

[2] المرجع نفسه، ص3-2.

بينما عرّفه المستشرق الألماني رودي بارت: الاستشراق علم يختّص بفقه اللّغة خاصّة، وأقرب شيء إليه أن نفكّر في الاسم الّذي أطلق عليه، فكلمة الاستشراق مشتّقة من الشّرق، وهكذا يكون الاستشراق علم الشّرق. [5]

وفي تعريف آخر يربط المستشرق الفرنسي **مكسيم رودنسون** ظهور الاستشراق بسنة **1711م** أي تزامنا مع تواجد **نابليون بونابارت** في مصر وهذا تماشيا مع بروز الحاجة الى إيجاد فرع متخصّص من فروع المعرفة يهتّم بدراسة الشّرق: حضاراته، لغاته وديانته، فدعا الى ضرورة إنشاء الجمعيات وإصدار المجلّات المتخصّصة. [6]

وعّرفه **"الطيب بن إبراهيم "** قائلا: إن الاستشراق لا يعتبر تاريخيا أو جغرافيا فقط، ولا إنسانا أو ثقافة فحسب، بل هو مجموع ذلك كله، فهو المكان وزمان وثقافة والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطا عضويا وتكامليا مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، ويواصل إن الشرق الذّي اهتم الغرب بدراسته، والتخصص في ثقافته وتراثه ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي وانّما هو**"الشّرق الهّوية"** وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق فهدفه هو: معرفة الشّرق الهّوية والتّاريخ. [7]

أمّا **"ادوارد سعيد"** المهتّم والمختّص في الاستشراق فقد ربطه بمعرفة الشّرقي، كما عرّفه على أنّه أسلوب في التّفكير مبني على التمّيز، متعلق بوجود المعرفة بين الشّرق وبين الغرب، ويضيف :"إنّ الاستشراق ليس مجّرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلبا باختلاف الثّقافات والدّراسات أو المؤسّسات، وليس تكديسا لمجموعة كبيرة من النصوص

---

[1] رودي بارت: الدّراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص77.

[6] مكسيم رودنسون : "الصّورة الغربية و الدّراسات العربية و الإسلامية في تراث الإسلام، ترجمة محمّد زهير السّمهوري، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 7918،ص21-707.

[1] الطيب بن ابراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدّد مهامه خاصّة في الجزائر، دار المنابع للنّشر والتّوزيع، الجزائر. 2002 عن شبكة الألوكة الثّقافية .2002.

حول المشرق...إنّه بالتّالي توزيع للوعي الجغرافي على نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية في فقه اللّغة ..."، ويقول في موضع آخر: " إنّه نوع من الإسقاط الغربي على الشّرق و الإردة حكم الغرب للشّرق" [8]

كما يواصل **ادوارد سعيد** في تعريفه للاستشراق على أنّه مسألة متعلّقة بمحورين كبيرين **هما:**

المعرفة والسّلطة، ويقصد بالمعرفة معرفة الشّرق من مختلف جوانب الحياة فيه، أمّا السّلطة فهي تعني السّيطرة على الشّرق بحكم المعرفة به وبنقاط ضعفه. [9]

ويضيف إنّ الاستشراق يتعلق بطرفين هما: **الغربي والشّرقي** الأوّل يُسيطر والثّاني يسيطُر عليه، أي السّيطرة على أملاكه وأراضيه انطلاقا من فكرة تفّوق الأوّل على الثّاني، وهذا ما جعل النّزعة الاستعمارية الكولونيالية تسيطر على الفكر الاستشراقي خلال القرن 79م في ظلّ التّفوّق الصّناعي والعلمي للغرب على الشرق خلال هذه الفترة. [10]

وفي هذا الاتجاه كان تعريف **محمد الدّعمي** للاستشراق ولمواضيعه، فبحكم أنّ الشّرق الأقرب جغرافيا لأوروبا والأكثر اتّصالا به ثقافيا أو حضاريا فهو المنافس الكلاسيكي **له.**[11]

وبما أّن جميع التّعريفات اتّفقت على أنّ الموضوع الاستشراق يرتبط أكثر بالمدلول الجغرافي وهو الشّرق، والشّرق جغرافيا يتوزع تقريبا على القارّات الثلّاث: آسيا، شمال إفريقيا

---

[8] مازن بن صلاح المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية، ص2. [9] ادوارد سعيد: الاستشراق، المفاهيم الغربية للشّرق، ترجمة محمّد عناني، رؤية للنّشر والتّوزيع، ط7، القاهرة.2006، ص 81-97

[70] المرجع نفسه، ص702.

[77] محمّد الدّعمي: الاستشراق، الاستجابة الثّقافية الغربية للتّاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط7، بيروت. 2006، ص782.

وأوربا الشّرقية كان لابدّ من التّمييز والفصل في نوع الدّراسة الاستشراقية وهذا ما أطلق عليه **ادوارد سعيد "النّزعة الانتقائية " أو "الوصف الموسوعي".** [12]

وقد ساهم ذلك جلّيا في ظهور التخصّصات الاستشراقية انطلاقا من المجال الجغرافي محلّ الدّراسة فظهرت: **الدّ ارسات الصّينية -الدّ ارسات الهندية -الدّ ارسات الفارسية - الدّ ارسات الإسلامية - الّد ارسات التركية - الّد ارسات المصرية ...الخ .**

❖ جـذوره، دوافـعه وأهدافه:

- جذور الاستش ارق:

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق، فالبعض يرى أنّ ظهوره يرتبط بظهور الإسلام وهو أوّل اهتمامات النصّارى بهذا الدّين الجديد خاصّة مع هجرة المسلمين إلى الحبشة، ثّم الّرسل الّذين أرسلهم **الّرسول (ص)** إلى ملوك النّصارى خارج الجزيرة العربية ومنهم الى ملك الرّوم **"هرقل"** وهناك من يربط ظهور الاستشراق بالحروب الصّليبية والّتي هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنّصارى وهو الأمر الّذي وّلد لديهم الرّغبة في معرفة الإسلام والمسلمين. [13]

ومن المؤرّخين من يقول ببداية الاستشراق مع دخول الرّهبان المسيحيين إلى **الأندلس** وتعلّمهم هناك ثم العودة الى بلدانهم وكان أوّل هؤلاء الرّاهب الفرنسي" **جربرت jerbert"** والذّي انتخب بابا لكنيسة روما عام **111** م،وبعده **"بطرس المحترم"** بـ **Pierre le Aénnéré (1911-1111)**، و" **جيراردي كريمون " jerard de crémon (1117-1111).**

---

[12] ادوارد سعيد: الاستشراق، ص772.

[13] مازن مطبقاني: الاستشراق والاتّجاهات الفكرية، ص 2.

وقد ساهم هؤلاء الرّهبان في نشر ما تعلّموه من علوم العرب وآدابهم وثقافاتهم بين أوساط طلبتهم في الكنائس والأديرة، بل وأسّسوا لذلك مدارس ومعاهد فانتشرت بين القرنين العاشر والثّالث عشر المدارس الدّينية التي تطوّر بعضها إلى معاهد وجامعات، وطالبت العديد من الكنائس بكراسي في مختلف الجامعات لنشر لغات الشرق وآدابه و علومه منها: **مدارس الرّهبان الف ارنسسكان بـ: فلسطين** المعروفة بـ **"دير عكّا "عام 1111م، و مدارس الرّهبان العربية** في **اشبيليا 1119م، و برشلونة 1111م و ميورقة 1171 م.**

كما انتشرت في هذه الفترة حركة التّرجمة إذ أنشأ رئيس أساقفة **طليطلة: "ريموند الأول " (1111-1111م)** مكتبا للمترجمين سنة **1119م والّذي** ساهم في ترجمة أمّهات الكتب العربية في الرّياضيات والفلك والطّب والكيمياء والطّبيعة وعلم النفس والمنطق والسّياسة وغيرها من العلوم.[14]

ومن الآراء أيضا في بداية الاستشراق أنّه كان مع قرار المجّمع الكنسي **لفيينا (النمسا)** والّذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللّغات العربية والعبرية والسّيريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل **باريس وأكسفورد** عا **1111** م، **وكامبريدج** عا **1111** م.[15]. ومنذ هذه الفترة لم تنقطع جهود الغرب في دراسة الشّرق ونقل علومه ودراسة لغاته وآدابه إلى غاية القرنين **11و11** م أين ظهرت سلسلة المجالات المتخصّصة في دراسة الشّرق، وتأسّست **الجمعيات الاستشراقية** وفيما يلي بعضها:

- مجلّة **ينابيع الشّرق** أصدرها **"هامر بريشتال"** في **فيينا (1111-1191).**

---

[72] نجيب العقيقي: المستشرقون (موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراستهم منذ ألف عام حتّى اليوم)، الجزء 7، ط2، دار المعارف، القاهرة.7980.ص90.

(71) مازن بن صلاح المطبقاني: الاستشراق، ص1-6.

- مجلّة الإسلام في باريس **1111**م، ثم خلفتها عام **1191**م مجلّة **العالم الإسلامي** عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، ثم تحولت إلى **مجلة الدّ ارسات الإسلامية**.
- مجلّة **عالم الإسلام** ظهرت في **سان بيترسبورغ** عام **1111**م، لكنّها لم تعمّر طويلا!.
- مجلّة **العالم الإسلامي** أنشأها **"صاموئيل زويمرت" 1111 م** وهو رئيس المبشّرين في **الشّرق الأوسط** [16].

ومن **الجمعيات الاستشراقية** الأوربية الّتي نشطت في المجال:

- **الجمعية الآسيوية في باريس 1111 م.**
- **الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا 1111 م.**
- **الجمعية الشّرقية الأمريكية** 7822م.
- **الجمعية الشّرقية الألمانية 1111م.** [17]

ونظرا للحدّة الّتي بلغها النّشاط الاستشراقي في أوروبا خلال القرن 79 م الى درجة التنّافس بين بعض الدّول الأوروبية خاصّة **فرنسا وبريطانيا** أطلق عليها **ادوارد سعيد** اسم" **النّهضة الاستشراقية ".**[18]

إذ ظهر عددا هائلًا من الكتابات الاستشراقية، بل واستّغل الغرب في هذه الفترة كلّ امكانياته تجسيدا لأهداف الاستشراق التّي أصبحت تتماشى والتّحولات السّياسية والاقتصادية الحاصلة في أوروبا بعد **عصر التّنوير** والنّهضة وكذا الثّورة الصنّاعية، فأصبح الاستشراق يستجيب لحاجات الغرب في مجال الاستعمار وعلى وجه الخصوص بعد حملة **نابليون بونابارت** على مصر **1711** م وظهور مصطلح **"المسألة الشّرقية "**[19]

---

[76] مقال "الاستشراق": Marefa. Org /index. Php

[17] المرجع نفسه.

[18] محمّد الدّعمي: الاستشراق. ص12-13.

[19] ادوارد سعيد: الاستشراق، المفاهيم الغربية. ص 722-723.

وفي الرّبع الأخير من القرن 79م ظهرت وسيلة أخرى استّغلها الغرب في تحقيق أهدافه من الاستشراق وبدأ يناقش ويطرح عَلانا مسائله المّتعلقة بالشّرق من خلال عقد **المؤتمرات** وكان **مؤتمر باريس 1711م** أوّل المؤتمرات الّتي دعا إليها كبار المستشرقين **في أوربا وفرنسا خاصّة "سلفيستر دوساسي"**[20]

- دوافــعه وأهدافــه:

تعدّدت دوافع الاستشراق وأهدافه وارتبط ذلك بتطوّره عبر مختلف العصور من القرن **العاشر** إلى القرن **التّاسع عشر** وكذا العشرون وهذا بما يتماشى وحاجات الغرب من الشّرق، وكلّما تقدّم الوقت أو الزّمن ظهرت أهداف جديدة للاستشراق، وسنحاول فيما يلي أن نلّم بجميع هذه الأهداف والدوّافع:

1-الهدف الدّينـي:

لخّصه العديد من المؤرّخين في دافع الرّغبة **بمعرفة الإسلام** لمحاربته وتشويهه لإبعاد النّصارى عنه، وقد اتّخذ من المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنّصير، كما كانت أغلب الكتابات الاستشراقية في هذه المرحلة تكتسي الطّابع الدّيني الحاقد على الإسلام والمسلمين، وللأسف بقيت هذه الفكرة تسيطر على أذهان العديد من المستشرقين الى غاية العصور الحديثة مثلما ذكر ذلك **نورمان دانيال** في كتابه **(الإسلام و الغرب)** :" إنّ أسباب حقد النّصارى وسوء فهمهم للإسلام مازال بعضه يؤثّر في موقف الأوروبيين من الإسلام بالّرغم من التّحسن الحاصل حديثا في الفهم".[21]

---

[20] مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 7919ص73-71

[27]Normand Daniel ;Islam and the West :The making of an image. Revised Edition (Oxford :One world).1993.P9.

1-الهـــدف الثّـقافي (العلمي):

وهو من أهمّ وأبرز أهداف الاستشراق عبر مختلف مراحله، فمنذ ظهوره كانت رغبة المستشرقين نشر الثّقافة الغربية انطلاقا من النّظرة الاستعلائية التي يُنظر بها إلى الشّعوب الأخرى كما أنّ هذه النّظرة تطوّرت أكثر في عصر النّهضة والتطوّر الصّناعي، فأصبح الغرب يرمز الى نفسه بالحضارة والتقّدم ويرمز إلى الشّرق بالتخّلف والرّجعية، وقد تجسدّت هذه النّظرة في كتابات العديد من المشرقين خلال القرن 79م.

كما أن الاستشراق نشط في هذا المجال بقوّة، فأسّس المعاهد العلمية والتّنصيرية وأسّس الجامعات والمدارس، وأصدر المجلّات والكتب وأسّس الجمعيات، كلّ ذلك على حساب ثقافات الشّرق وديانانه خاصّة الإسلام. [22]

كما تجدر الإشارة في هذا الجانب أنّ بداية مساعي الاستشراق في المجال العلمي والثّقافي لم تكن لتنضج وتصل الى هذا الحدّ من الاستعلاء لولا الخطوات الأولى التّي بدأ فيها رجال الدّين بترجمة أمهّات الكتب من العالم الإسلامي، فعندما اكتمل التّكوين الثّقافي والعلمي، وأصبح الغربُ ملمّ إما بمختلف العلوم واللّغات والآداب انتقل وارتقى الى مرحلة الحضارة والاستعلاء على الشّرق، من هنا يرى بعض المستشرقين أنّه: إن أراد الّشرق أن يتطوّر فعليه بتوجيه اهتمامه بعلوم الغرب وحضارته أي ما عبّر عنه رودي بارث بـ **"الاستغ ارب".** [23]

1-الهدف السياسي:

هو نبض الاستشراق لأنّ الهدف السيّاسي منه تمثّل في إيجاد الآليات والسُّبل التّي تساعد الغرب على فرض هيمنته وسيطرته على الشّرق أي استعماره. فقد سار المستشرقون

---

[22] مازن بن صلاح المطبقاني: الاستشراق. ص 6.

[23] رودي بارت: الدّراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. ص77.

في ركاب الاحتلال وفي أحيان كثيرة كان المستشرقون يسبقون قادة الجيوش، فيمدّونهم بالتّقارير المفّصلُة عن أحوال الأرض الّتي ترغب دولتهم في احتلالها، وأكثر من هذا فأحياانا يقوم المتشرّق بتعبيد الطرّيق أمام بلده لتنفيذ الاستعمار الى درجة أنّه في القرن الأمر بين المحتّل 79م اختلط والمستشرق. [24]

لم يتّوقف الأمر عند هذا الحدّ بل بقي هذا الهدف واردا لدى الغرب حتّى وان استّقلت هذه الدّول وهذا بعد ما زرع بذور الفتنة والانقسام داخل تلك المناطق تحت عدة مبرّرات: **الاختلاف العرقي أو الطّائفي أو المذهبي** أو بدعوى **التحّرر والدّيمق ارطية والقومية**، فنجد الغرب يسعى في هذا الاتجاه إلى تقوية روابطه وعلاقاته مع تلك القوميات أو الطوّائف أو المذاهب ويشجّ عها على الانتفاضة والتمرّد ضّد أنظمة الحكم السّائدة بها ومنه يتمّكن من إضعاف وحدة البلاد العربية والإسلامية ويسهل عليه بالمقابل تحقيق جميع مطامعه [25].

كما تطوّرت أساليب الاستشراق السيأّسية خلال القرن العشرين وهذا من خلال إنشاء السّفارات والقنصليات لدى مختلف دول الشرق وتزوّدها بالملحق الثّقافي الّذي يحسن غالبا اللّغات الشّرقية حتّى يسهل عليه الاتصال برجال الفكر والسيأّسة والاقتصاد، ومن ثمّة يدرك أفكارهم وتوجّهاتهم السّياسية فيرسل ذلك كلّه في شكل تقارير مفصّلة لحكومته ودولته

(التمّكن من نواحي الضعف في سياسات دول الشّرق) وهكذا يسهل على الغرب التّخطيط والتّآمر ضدّ الشّرق ودوله [26]

---

[24] المرجع السّابق. ص8.

[25] مصطفى السّباعي: الاستشراق والمستشرقون. ص71-78. [26] المرجع نفسه .ص78-79.

1-الهـــدف الاقتصادي

ارتبط هذا الهدف بفترة التطوّر الصنّاعي والحضاري التّي بدأت أوروبا تعيشها ابتداء من القرن الثّامن عشر، ما جعلها بحاجة الى المزيد من المواد الأوّلية والثّروات لتغذية
مصانعها و كذا الحاجة إلى أسواق جديدة خارج أوروبا لتصريف منتجاتها فكان لابّد من معرفة البلاد التي تمتلك هذه الثرّوات الطّبيعية، ويمكن في نفس الوقت أن تكون أسواقا مفتوحة أمامها، فكانت أراضي الشّرق الأكثر استهدافا إذ تكوّنت المعرفة لدى الغرب بحجم الثرّوات والخيرات الكامنة في تلك الأراضي من خلال الرّحلات الاستكشافية التّي قام بها عدد هائل من المستشرقين الأوروبيين خلال القرنين الثّامن والتّاسع عشر والتّي كانت أيضا بمثابة التقارير المفصّلة عن نوع الثرّوات و مواقع تواجدها، ومن يسيطر عليها، وهل هي مستّغلاة أم لا ؟ ما فتح شهيّة الحكومات الغربية دون استثناء أمام تلك الخيرات. [27]

وانطلاقا ممّا سبق ذكره يتبيّن لنا حجم الترّبط والتسلسل القائم بين مختلف أهداف الاستشراق إذ هي كلّ متكامل ولا يمكن أن نستثني هدفاا واحدا منها خاصّة وأنّ **المعرفة بالشرق: دينه وثقافته يُسّهل تحقيق الهيمنة السيّاسية والاقتصادية** على أراضيه. [28].

❖ **الاستشراق الفرنسي في القرن التّاسع عشر:**

أصبحت تعني كلمة الشّرق منذ القرن 76م في **فرنسا: الدّول الإسلامية** و قد ورد هذا في تعريف " **هربلوت" Herblot (1111-1111)** : الشّرق بالنّسبة لفرنسا هو البلدان النّاطقة بالعربية والفارسية والتّركية.

---

[27] مازن المطبقاني: الاستشراق، ص 8-9.

[28] مصطفى خالدي و عمر فروخ: التّبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت7982، ص 68- 69 .

ومع التّغيير الحاصل في الموقع الجيوسياسي للشرق مع نهاية القرن 78م أصبح هذا المصطلح يغّطي بالخصوص كل أأرضي **الإمب ارطورية العثمانية** بما في ذلك: **اليونان، البلقان والمغرب العربي** باعتبارها موضوعا **للمسألة الشرقية** التّي كانت آنذاك محور السيأّسة العالمية.[29]

- **البدايات الأولى للاستش ارق الفرنسي:**

كانت بداية الاستشراق الفرنسي خلال القرن 72م عندما طلبت الثّقافة العربية في مدارس **الأندلس وصقلية**، ثم بدأت تنشأ لها المعاهد والجامعات وتؤسّس بها الكراسي الخاصّة بتدريس لغات الشّرق وحضاراته وديانات نذكر منها:

- إنشاء **مدارس الرهبان بـ باريس** عام **1179** والتّي كانت النواة الأولى لتأسيس **جامعة باريس.**
- انشاء جامعة السوربون عام 7211 بهبة من الأب "روبرت دوسوربون" والتّي جدّدها الأب "روشيليو" سنة 7626م، وضمّها نابليون الى جامعة باريس سنة 7808م. [30]
- إنشاء **المدرسة الوطنية للغات الشرقية** الحية **بباريس** عام **1711.** [31]
- في عام **1711** أنشأ " نابليون بونابرت " **معهد مصر.**
- في عام **1191** أنشئت **المدرسة الشّرقية** في **القسطنطينية.**
- في عام **1191** أنشئت **جامعة (ليون)** وفيها دراسة اللّغة العربية، والآثار المصرية والتّمدين الإسلامي.

---

[29] ميخائيل ف. كلينكنبرغ: "صورة الشّرق في الأدب و الفن الفرنسيين من القرن 71حتّى نهاية القرن79"،مقال عن مجلّة التّسامح،وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية ،سلطنة عمان.د ت.

[30] وقد ضمّت معهدا للآداب ،معهد للفن الإسلامي ،معهد لتاريخ الشّعوب الشّرقية.

[31] وكانت موّجهة للسّفراء والقناصل و التّجار ،و لّما تولّى رئاستها "سلفيستردو ساسي"أصبحت قبلة المستشرقين من جميع دول العالم حتّى من البلاد العربية .

- في عام **1119** أسّس **" ماسبيرو" المعهد الفرنسي للآثار الشّرقية.** [32]

لم تكتف فرنسا بإنشاء المعاهد والجامعات المتخصّصة في مجال الاستشراق بل اعتمدت كثيرا في هذا المجال على إصدار **المجلات** التّي كانت بمثابة الفضاء المُتاح لدى المستشرقين لطرح أفكارهم وعرض أعمالهم التّي كانت تلقى الدّعم المادّي القوّي من قبل الحكومات ومختلف المؤسسات الثّقافية وحتّى الاقتصادية نظارا لأهمّيتها وسأذكر البعض منها خاصّة تلك الصّادرة خلال القرن 79 م ومنها:

- **المجلّة الآسيوية 1111**، تأسّست برعاية من دوق **(أورليان)** وبرئاسة **"سلفيستر دوساسي"** عام **1119م.**
- **المجلّة الإفريقية 1111**، أصدرتها **الجمعية التاريخية الجزائرية** في الجزائر.
- **نشـــرة معهد مصر 1111.**
- **مجلّة الأديان 1119.**
- **حوليات الجغرافيا 1111.**
- وصولا إلى **نشرة المعهد الفرنسي للآثار بالقاهرة** عام **1191**، **ومجلّة العالم الاسلامي** ما بين **(1191-1111).** [33]

أمّا فيما يتعلّق بطبيعة الاستشراق الفرنسي و مواضيعه و اهتماماته فقد تأثرّت دوما بالعلاقات السيّاسية لها مع دول الشّرق في القرن 79 و على وجه الخصوص علاقاتها مع الإمبراطورية العثمانية والتّي ربطتهما علاقات قديمة تعود الى أولى **الاتفاقيات** الممضّية بينهما خلال القرن **11م** ، لكن ما يميّز هذا الاستشراق أيضا هو اندماجه الدّائم بالأعمال

---

[32] نجيب العقيقي: المستشرقون . ص727- 722. [33] المرجع نفسه، ص739- 727 .

الأدبية والفلسفية والتّاريخية والتّي حملت دائما خطابات حول الشّرق معقدّة نوعا ما وهكذا تحدّدت صورته من خلال تلك الخطابات المقترنة بفترات ثقافية متعدّدة و متنوّعة نذكر منها:

- ترجمة **أنطوان قالون** لكتاب **(ألف ليلة وليلة)** ما بين **(1717-1797)**.
- أعمال **مونتيسكيو (1111-1711)** و**فولتير (1111-1771)**.

وبعد هؤلاء أي بعد عصر**التنوير** ظهر **فولييني (1717-1119)** والذّي عايش أحداث الثّورة فبدى تأثرّه الواضح بذلك في كتاباته حول الشرق[34]

ثم سلسلة المشرقيات لفيكتور هيغو (1111-1191) الصّادرة سنة **1111م، ثمّ فرانسوا روني شاتوبريان (1111-1711)** في كتابه (**المسلك من باريس الى القدس 1111**)، ثم **تيوفيل غوتييه (1111-1171)** :(**القسطنطينية 1111**)، يليه **ألفونس دولمارتين (1111-1719)** الذي أصدر كتاب:(**رحلة الى الشرق سنة 1111**)، ثمّ **جيرار دو نرفال (1111-1191)** في كتابه : (**سفر إلى الشّرق 1111**) ، ليتبعه **غوستاف فلوبير(1111-1111)** من خلال: (**مذّك ارت ورسائل سفر إلى الشّرق 1111-1111**) [35]

ليتبيَّن لنا من خلال هذا الطّرح أنّ الاستشراق الفرنسي في القرن التاسع عشر ارتبط فعلا بالأعمال الأدبية النّابعة عن مشاعر القداسة والانتماء والّشوق لأرض المشرق لدى **أدباء الخيال الرّومنسي** والذين شدّوا رحالهم تجاه أرض المسيحية الأولى كما ورد ذلك في أغلب كتاباتهم، فكان هذا الأسلوب الأدبي أي " **أدب الرّحلة** " شكلًا من أشكال الاستشراق الفرنسي ووسيلة من وسائل بلوغ الشّرق وفهمه والتعّرف عليه.

---

[34] الكونت "دوفولنيي" أصدر كتابه تحت عنوان: رحلة الى مصر وسوريا في مجلّدين سنة 7181م. [35] ميخائيل ف. كلينكنبرغ. نفس المقال.

بالموازاة مع ذلك سيشهد الاستشراق الفرنسي في القرن 79م نهضة حقيقية في شكله الأكاديمي والعلمي والفضل في ذلك يرجع إلى" **البارون أنطوان سلفستير دوساسي " (1111-1711)** الملّقب بـ: **شيخ المستشرقين الفرنسيين"** نظرا للأعمال الضّخمة التّي قدمّها للاستشراق الفرنسي.[36]

([36]) أنطوان سلفستير دو ساسي : من أعماله أيضا دّرس العربية و الفارسية و التّركية و العبرية،عمل في جمع وحفظ المخطوطات الشّرقية بمكتبة باريس الوطنية و حقّق العديد منها ،عمل أستاذا بمدرسة اللّغات الشّرقية 7191م ثمّ أصبح مديرا لها عام 7833 م ، من أبرز مؤلّفاته : الدّروز في جزأين ، حقّق و أعاد طبع "مقامات الحريري" "كليلة و دمنة" 7876 ،ترجم "بند ناما" 7879 و غيرها من الأعمال الاستشراقية. 7872 ، حقّق

1- أدب الرّحـلـــة:

- تـــعريفه: يُعرف أيضا باسم " **السفرنامة** " وهي كلمة فارسية، هو نوع من الأدب يصّور فيه الكاتب أو الأديب ما جرى له من أحداث وما رآه من مناظر وما صادفه من أمور أثناء رحلة ما.[37]

وتظهر أوّلا في شكل ذكريات يومية يُدّونها الرّحالة، ثم يتّولى جمعها هو أو غيره في شكل مؤلّف، وقد اتّسم هذا النّوع الأدبي بأسلوب **التّشويق والإثارة**، وأحيانا تدمج في مضامينها نصوصا من الشّعر يعبّر من خلالها الكاتب عن حالة نفسية يمّر بها أو للتّعبير عن رؤية معينّة أو موقف معّين تجاه منظر أو حادثة صادفها.

- نشـأته وتطـوّره:

ارتبط ظهور أدب الرّحلة بأولى الرّحلات التي قام بها الأوربيون المسيحيون نحو الشّرق الّذي اعتبروه **مكانا للجّنة** كما وصفه **"ايسودوردوسيفيل "(11-111 م): " ...الجنّة هي مكان يقع في الشرق "**[38]

فمثّل الشّرق في كتب التّرحال القديمة أرض الفرح والأمل والخيال مثلما وُصف هنا: **"...مرحى لبلاد العرب ولبلاد فارس، شرق ذكريات الإنسان التّي لا تُمحى..."** [39]

كما تأثّر أدب الرّحلة بالحروب الصّليبية واقترن ذلك بتغيُّر نظرة الغرب للشّرق بعد ظهور الإسلام فظهرت كتابات الرّحالة المشاركين فعلا في الحروب والمعارك أو الّذين انتقلوا

---

[37] الموسوعة الحرّة. ويكيبديا.

[38] Christiane Deluz ; «Le Paradis terrestre de l'Orient lointain» ;Quelques documents géographiques médiévaux dans: Images et signe de l'Orient midiévale.Aix en Provence. Publication du CURMA.

[39] محمّد الدّعمي: الاستشراق، ص 92-91.

إلى الشّرق برفقة جيوشهم لدفع روح الحماس فيهم وتشجيعهم على القتال ولعلّ أشهر هذه الكتابات ما عُرف في أدب الترّحال الأوروبي بـ " **أناشيد المآثر**"، كـــ " **أناشيد رولاند**" بين **(1179-1119)** [40]

استّمر بعد ذلك أدب الرّحلة وامتّد الى القرون 71-76-71 م خاصّة أنّها عصور **الرّحلات الكبرى** للغرب ليس تّجاه الشّرق فحسب بل تّجاه عوالم جغرافية جديدة يتّم اكتشافها، فساهمت تلك الرّحلات الاستكشافية في إثراء هذا الأسلوب الأدبي كما وصف ذلك **دوارون نورما:** في **1111** أصبح أدب الرّحلة أسلوبا أدبيا معترف به من قبل القّراء كما هو معترف به لدى الّرحالة أنفسهم، فأصبح من الأنواع الأدبية الواضحة المعالم والمحددّة الأسلوب [41]

ومن بين كتب الّرحلات نحو الشرق في **القرن 11**، نذكر على سبيل المثال:

- كتاب **غريفان أفاغار: العلاقة بالأرض المقدسة (1111-1111).**
- كتاب **جان شيسنو: رحلة من باريس إلى القدس إلى القسطنطينية (1117-1111)** [42]

وفعلا يمكننا أن نتّفق مع هذه الّرؤية أي الاهتمام المتزايد للغرب بالشرق من خلال **أدب الرّحلة في القرن 17م**، وقد ذكر" **ستيفان ايغاموس** " أنه تّم طبع ونشر ما يزيد عن **199** رحلة خلال **القرن 17** في فرنسا وحدها [43]

---

[40] هي أقدم عمل في الأدب الفرنسي، توجد له عدّة نسخ من المخطوطات، أقدمها موجودة في مكتبة أكسفورد، تتضّمن حوالي 2002 سطرا.

[41] Doiron Normand ; « L'art de voyager, pour une définition du récit de voyage à l'époque classique» dans Poétique :n° 73.1988.P87.

[42] Véronique Magris ; Discours sur l'autre à travers quatre récits de voyage en Orient. Paris Champion .1995.P 17.

واستمّر أدب الرّحلة الى القرنين 78و79م، وهي مرحلة **تصحيح المفاهيم القديمة** تّجاه الشّرق فأصبح مرّة ثانية ملاذ العديد من الأدباء الّذين باتوا يفرّون اليه هروبا من مشاكل الحياة في مدنهم التّي بدأت تكبر وتزدحم بالبشر، فهناكَ وجد هؤلاء الكتّاب **السّلام والهدوء والطبيعة العذراء**، لذا كان أكثر المرتحلين الى الشّرق في هذه الفترة الأدباء والشّعراء **الرّومنسيين**، وأطلق مصطلح **"التّرحال الفكتوري"** على كتابات الرّحالة في **القرن 11م**[44]

كما عُرفت رحلات الأدباء الأوربيين نحو الشّرق في القرن 79م **برحلات الحج** فالشّرق هو أرض الأمجاد السّابقة، وهكذا كان الحجّاج والرّحالة خاصّة الفرنسيين منهم يرسمون ويتخيّلون الأماكن الموجودة سابقا في أذهانهم، فهو الّشرق الّذي ذكره **الكتاب المقدس** والّذي مثّل أرض الحملات الصّليبية فهو مكان يطابق خيالهم وأمانيهم، بالمقابل هو **الذّات والأنا**، هو الُهوّية و هنا وجد كلّ من: **فولنيي و شاتوبريان و لمارتين ضالتهم**[45]

أدب الرّحلة الفرنسي وعلاقته بالاستشراق خلال القرن 11م :

شكلّ **القرن 11م** في فرنسا قرن الّترحال الى الشّرق خاصّة بالنسبة للأدباء وقد استوحى معظمهم أفكاره عن الشّرق من" **اللّيالي العربية** " والتّي عمقت لديهم مشاعر الإعجاب والانبهار بالحياة الشّرقية السّاحرة وهوما طبع كتابات الرّحالة الفرنسيين مع بداية القرن التّاسع عشر، فالشّرق هو **الرّومنسية** الّتي حلم بها هؤلاء أمثال: **شاتوبريان وفيكتور هيجو**[46]

---

[43]Mouna Alsaid ; « L'image de l'Orient chez quelques écrivains français » ;Thèse de Doctorat sous la direction de Jean Pierre Martin ;Université Limière.Lyon2.2009.P15

[44] محمّد الدّعمي: الاستشراق، ص 96- 98.

[45] ادوارد سعيد: الاستشراق، ص 211-211.

[46] المرجع السّابق، ص 96- 91.

وهذا **ديديه** الّذي ذهب الى الّشرق مشمئزّا من **باريس** و من فرنسا و من أوربا بكاملها الى هناك ليشعر بالرّاحة والنّسيان، وكانت مخيّلة **لمارتين** العاشقة للبحر والصّحراء وللجبال والعادات مرسومة على ظلال الشّرق الّتي ذكرها في كتابه " **ذكريات، انطباعات، أفكار ومناظر اثناء رحلة إلى الشرق**" أو "**ملاحظات مسافر**" **(1111-1111)** ، والشّرق هو بلد الدّيانات المختلفة هذا ما وصفه " **دونارفال**" : **هو ذلك المزيج من الاعتقادات و الحماس الصّوفي ، و تركيا هي أرض العبادات و المعجزات وحتّى الخرافات، أنّها بلد التّأمل العميق و الحدس و العبادة ،انّها بلد الجوامع و المآذن المنتشرة** [47]**لذا أصبح أدب الرّحلة الرّومنسي في القرن 11م** الأسلوب الغالب على الاستشراق الفرنسي في هذه الفترة، فلا نكاد نجد مستشرقا في فرنسا إلّا وكان أديبا أو شاعرا في الغالب، لكنّه سيقدم الكثير للفكر الاستشراقي مع ما يتماشى ومتطلّبات هذه المرحلة، إذ استّغلت فعلا كتابات هؤلاء **كتقارير دقيقة** توصف فيها بلاد الشّرق فتساعد بذلك في توضيح الصّورة عن الوضع السّائد ببلاد الشّرق وخاصّة **البلاد العربية** والتّي كانت لا تزال بعد تحت سلطة العثمانيين.

ومن خلال هذا البحث سنبرز العلاقة بين **أدب الرّحلة والاستشراق في فرنسا خلال القرن 11م** وستكون لنا رحلة الشّاعر الفرنسي **ألفونس دو لمارتين** الى الشّرق بين عامي **1111 و1111** نموذجا لهذه الدّراسة.

[47] جريدة الشّرق الأوسط:" رحلات فرنسية الى بلدان عربية "، العدد 8618 ،2002. من كتاب بيار جوردا (رحلة إلى الشّرق)، النّاشر دار الأهالي، دمشق.

الفصـــــل الثّانـــــي

لمـــــــارتين ، حياته و أعماله

1- حيــاة لمارتين (من مولــده الى وفاتــه)

2- أعـــــــماله :

- في الأدب

- في السّيـاسة - في التّــاريخ

الفصل الثاني: لمـارتين حياته وأعماله:

1- حيــاة لمــارتين (من مولــده الى وفـاته):

الاسم الكامل هو "ألفونس ماري لويس دو برات " المعروف بـ "ألفونس دو لمارتين " من مواليد بلدة (ماكون) الواقعة جنوب شرق باريس بتاريخ 12 اكتوبر 2771م من أسرة ريفية نبيلة، عاش معظم طفولته في بلدة (ميللي) رفقة شقيقاته الخمس والتّي كان بكره إن تلاقى تعليمه الأول على يد والدته " ألاكس دو رويس " وهو تعليم مشابع بالتاعاليم المسيحية الكاثوليكية، والتاي لم تكن تطلب منه سوى أن يكون انسانا حقيقيا وطايبًا.

انتقل أثناء مراهقته إلى (ليون) و هناك التقى الأب" دومون" الاذي تاولى تدريسه ، ثام التحق بمدرسة " اليسوعيين" أين حصل اللاقاء مع " إيمون دوفيريو" سنة 2122 م والاذي رافقه في سفره الى ايطاليا والاذي دام الى غاية 2121 ، هناك كانت أاول تجارب لمارتين العاطفية مع " انطونيلّ جاكومينو" والاتي لم تست امر، وعند سقوط الإمبراطورية عاد لمارتين الى فرنسا متفائلّ بعودة "آل بوربون" إلى الحكم ، اوظفه والده آنذاك في الحرس الملكي وهو يبلغ من العمر 11 سنة ، وفي خريف 2121م انتقل إلى" اكس لوبان" وهناك التقى مع "جولي شارل" على ضفاف "بحيرة بورجيه" ، فكانت تجربته العاطفية الثانية وملهمة أشعاره ، لكن سرعان ما تاوفيت سنة 2127م ما أثار لديه مشاعر الحزن القاوية والاتي جعلته يتاربع على عرش الشاعراء الارومنسيين في تلك الفترة. [1]

سنة 2111 م عاد لمارتين الى الحياة السایاسية، فعُاين ملحقاً بسفارة فرنسا في (نابولي) بإيطاليا وهناك التقى مع "ماري آن برتش" وهي فتاة انجليزية من الطابقة الأرستقراطية، حصل ذلك في (تشامبيري) تزاوج منها ورُزق معها بطفلين : " ألفونس" والاذي تاوفي في

[1] حنان المالكي: "ألفونس دو لمالرتين"، مجالة الإتاحاد العالمي للثاقافة والأدب .1122.

شهره العشرين ، و "جوليا" الاتي وُلدت سنة 2111 وتوفايت هي الأخرى في س إن العاشرة (أثناء مرافقتها له في الارحلة ببيروت)، فحزن لمارتين حزنا شديداً على فقدان ابنته فانظم فيها قصيدة رثاء طويلة بعنوان " سقوط ملكٍ" نشرت سنة 2121 م. [2]

استفاد **لمارتين** كثيرا من زواجه بـ **"ماري آن برتش "** إذ ساعده ذلك على إيجاد حياة مستاقرة عاطفيا واجتماعيا، كما أتاح له هذا الزواج فرصة الانضمام إلى **صالونات الطبقة الأرسقراطية** ما ساعده على الشَّهرة والاتألق ودخول معترك الحياة السايلسية ما بين **(1281-1282)** مكالفا بشؤون فرنسا في **(فلورنس)** الإيطالية. [3]

كما عُاين بتاريخ 1 نوفمبر 2117 عضوًا بـ " الأكاديمية الفرنسية "، وفي 2122م فشل في التحاقه بالجمعية العا امة الفرنسية، فلم يتقابل الهزيمة وقارر الارتحال كوسيلةَ تعبير منه عن رفضه لسوء الأوضاع السايلسية السائدة آنذاك واختار أرض الاشارق وجهة له في هذه الارحلة. [4]

عاد لمارتين من الارحلة سنة 2122، فعاين في السانة الموالية عضواً بالجمعية العا امة الفرنسية إلى غاية 2112 م، مُمُثالًّ لمقاطعة (ماكون)، وفي خللّ هذه الفترة ازدهر نشاطه السايلسي من خللّ الخطابات العديدة ذات المواضيع المتنوعة والاتي سنشير إليها لاحقا. [5]

في **1282** م تارشح **لمارتين** لكرسي الارئاسة لكانه لم يساجل نتائج ها امة الأمر الاذي جعله ينسحب كلايةً من الحياة السايلسية ويتفارغ للكتابة والتأاليف خاصاة مع اعتلءّ **نابليون الثّالث "** العرش سنة **1288.** [6]

---

[2] المرجع السابق.

[3] Alphonse deLamartine ; Voyage en Orient ;Edité et annoncé par Sophie Basch. Gallimard.Follio classique.2000.P 14-17.

[4] Opcit ; P14-17.

[5] Sophie Basch et Henry Laurens ; La question d'Orient ;Discours et articles politiques (1834- 1861) ;André Versaille.2011.P91-99.

في ظ إل ابتعاد **لمارتين** عن السایاسة بدأت أوضاعه المادية في الاتدهور وأصبح على مشارف الإفلسّ الأمر الاذي دفع به إلى الاترحال مارةً ثانية إلى **تركيا**، هذه المارة ليس بدافع أدبي أو فكري واانما لدوافع ماداية ،إذ قام هناك ببيع ممتلكاته التاي كان قد منحها إياه السالطان **"عبد المجيد الثاني "** خللّ زيارته الأولى ،بالارغم من ذلك استامرت ضائقته المالية ،فاضطار سنة **1211** م إلى بيع **قصره** بـ **(ميللي)** ثام كتابة القصص القصيرة و نظم الشاعر حاتى تكون له معينا على الجوع والمرض. [7]

استمارت ظروف **لمارتين** المادية والصاحية في التادهور الى درجة أأنه بدأ يفقد السايطرة على الحديث والحركة، وما زاد من حجم مأساته هو فقدانه لزوجته بتاريخ **81 ماي 1211**، اضطار بعدها إلى قبول الهابة الاتي منحها إياه **الملك** سنة **1211م**، لكن المرض والحزن اشتادا به إلى أن توفي يوم **82 أكتوبر 1211م**، دفن بالقرب من قصر **"سانت بوانت"** دون مراسيم جنائزية رسمية. [8]

---

[6] حنان المالكي، "ألفونس دولمارتين".

[7] في هذا الشأن كتب لمارتين رسالة الى فيكتور هيجو يشكوه فيها حالة قائلّ أنه يخشى مصادر بيته وأثاثه ومكتبته لأنه لا يستطيع تسديد الفواتير.

[8] حنان المالكي، المرجع السابق.

8- أعمـــــــاله وآثـــــــاره:

اعتمدت أسلوب التاصنيف في ذكر أعمال لمارتين وقمت بترتيبها كرونولجيا:

❖ **فـي الأدب:** أصدر **لمارتين** الأعمال الأدبية التاالية:

- مارس **1281**، أصدر **"تأملّات شعرية".**
- **1281**، أصدر المجموعة الشعرية الثانية بعنوان **" تأملّات شعرية جديدة "** وأيضا قصيدته **" موت سقراط ".**
- ماي **1288**، نشر قصيدته **" أنشودة الم ازر الأخير للطّفل هارلود".**
- **1282**، ألاف قصيدة بعنوان **"روحي حزينة حتّى الموت ".**
- جوان **1211**، أصدر **" تناغمات شعرية ودينية ".**
- **(1211-1218)**، ألاف مجموعة من القصائد في رثاء لإبنته **"جوليا"** بعنوان: **" سقوط ملاك "** نُشرت سنة **1212.**
- في مجال **أدب الرّحلة: " ذكريات، انطباعات، أفكار ومناظر أثناء رحلته إلى الشّرق" (1211-1218) أو" ملاحظات رحّالة"** والاذي صدر سنة **1218** م في أربعة أجزاء.

- فيفري **1211**، أصدر رواية **" جوسلين".**
- **1211**، أصدر كتاب **" خشوع شعري".**
- في **1281** أصدر رواية **" رفائيل"**
- في جويلية **1288**، ألاف كتاب " الارحلة الجديدة الى الاشرق " [9]

[7] هي رحلة لمارتين الى تركيا، وقد صدرت الطابعة الأولى سنة 2112 م عن دار "لوتار" ضمن سلسلة (الأعمال الكاملة) من 22 جزء.

❖ **في السّـــــــياسة:**

- في **1211**، أصدر ثلثّيته المعروفة بـ " **ضّد إ اردة الموت – الى نمسيس – الثوّ ارت**".
- **1281** ألاف مجموعة من المقالات تحت عناوين: **المسألة الشّرقية** -الحرب - **الوزارة.**
- **1281**، نشر مقالا في مجلاة **(ال،عال، م،ين)** حول: " **روابط فرنسا بالموارنة** ".
- جوان **1281**، نشر كتاب " **الجيروندبين** "
- **1281**، أصدر كتاب " **تاريخ ثورة 1282** ".
- **1281**، أصدر كتاب " **تصريحات جديدة**".
- **1211**، أصدر " **مذكّ ارته السّياسية** ".

❖ **في التّـــــــاريخ:** لم تكن إسهاماته التاريخية كثيرة، أه امها:

- سبتمبر**1288**، أصدر أاول جزء من كتاب " **تاريخ تركيا** " وهو مؤلاف من ثمانية أجزاء.
- **1288**، أصدر " **تاريخ روسيا** ".
- في **1218**، أصدر كتاب " **تعريفات وبيوغرافيا**".

فمن خللّ عرضنا لهذه السالسلة من الأعمال، اتاضح لنا أن أعمال لمارتين انقسمت إلى نوعين: أدبية وتاريخية، سياسية، وبحكم طابع الادراسة سناوجه اهتمامنا أكثر نحو أعماله الساياسية خاصاة تلك التاي ارتبطت بالشارق وبرحلته الى الشارق أي: كتاب الارحلة الى الشارق وخطاباته الساياسية حول المسألة الشرقية، فنكتشف مدى قرب هذا الشااعر الفرنسي من الاستشراق.

الفـــــصل الثّالـــث رحـلة لمـــارتين الى الشّـــرق (2388-2381)

2- الرّحـــــلة:

- دوافــعها، الاستعداد والانطلاق

1- المحطّــات الكبرى في الرّحلــة :

- اليـــــونان
- الشّـام(لبنان، فلسطين، سوريا) - تـــــــركيا (إسطنبول)

الفصل الثـــــالث: رحـــلة لمارتين الى الشرق (2381-2388): 2-

الرّحـــــــلة:

❖ **دوافـــــعها:** من خلال اطلّاعنا على الرحلة اكتشفنا انّ دوافعها تعددت منها ما فصح عنه لمارتين ومنها ما توصّلنا اليه عن طريق البحث وتمثّلت في:

-الدّوافع الشّخصية:

وهي مرتبطة بطفولته إذ كانت لديه الرّغبة في زيارة الشّرق منذ سّن الثامنة خاصّة و أنّه سمع الكثير عن الشّرق من خلال قصص والدته وأساتذته، فهو بالنسبة له أرض الخيال الخصب، أرض المسيحية الأولى، موطن المسيح و مكان ولادته فيمثلّ أرض **المحجّ (الأرض المقدسّة)**، وقد صرّح عن ذلك قائلا: " منذ سن الثّامنة و أنا أرغب في زيارة الجبال الّتي نزل بها الإله، تلك الصّحاري الّتي زارتها الملائكة، تلك الأنهار النّابعة من الجنّة، تلك السّماوات الّتي تحلّق بها الملائكة ... هذه الرّغبة لم تنطفئ أبدا لدّي، حلمت دائما بالشّرق ... رسمت دائما في مخيّلتي إلياذة عن هذه الأماكن الجميلة ..." (1)

-الدّوافع السّياسية:

لم تكن السّياسة مجرّد اهتمام عابر بالنّسبة للمارتين بل هي جزء من تكوينه الشخصي، فهو رجل سياسة إذ تقلّد العديد من المناصب خاصّة في السّلك الدّبلوماسي ملحقا ثقافيا بسفارة نابولي 0281 ومكلّف بشؤون فرنسا في **فلورنس** ما بين **(2311-2311)** ، كما ترّشح للعضوية في الجمعية العّامة ممثلّا عن بلدة **ماكون** سنة **2381** لكنّه فشل في هذه المحاولة ،و تأثر لمارتين بشكل كبير بالأوضاع السّياسية الّتي كانت تعرفها فرنسا خلال هده الفترة ، فتطلّع الى مستقبل سياسي أفضل ورغب في أن يستعيد بلده مكانته بين الأمم وأن يكون مساهما في ذلك ككلّ مواطن فرنسي.

---

(1) **Alphonse de Lamartine ;Voyage en Orient. P 82- 83**

وما أكد لنا أيضا أهمية الرحلة من الناحية السياسية هو توظيفه لتلك الملاحظات والانطباعات مباشرة بعد عودته سنة **2381** في خطاباته السياسية وكتاباته التاريخية وهذا ما سنبرزه في الفصول القادمة من البحث، كما أنه أرفق مذكراته بـ **"ملخص سياسي"** جمع فيه استنتاجاته عن الواقع السياسي الذي ميّز المشرق في تلك الفترة من الحكم العثماني بل حتى الأوضاع داخل العاصمة **"اسطنبول"** في ظل حكم السلطان **"محمود الثاني"**[2].

-دوافع ثقافية:

لا يمكننا أن نجرّد **لمارتين** من شخصية الشاعر والأديب فهو من الأسماء البارزة في الشعر الفرنسي الرّومنسي الحديث والذي جسده في العديد من دواوينه الشعرية على غرار **" تأملات شعرية" 2311**، كما أن **لمارتين** يؤمن بأن الشرق أرض الجمال والسّحر ككل من عاصره من الشعراء والأدباء أمثال **" فيكتور هيجو"** الذي سبق له وأن زار الشرق أيضاً وكتب عنه في **"مشرقيات" 2311** ليكون الشّرق مصدر إلهام بالنسبة للرّحالة الأدباء الذين تأثروا بما قرأوه عن الشّرق في" **الليالي العربية**"، وفي" **ألف ليلة وليلة**" [3]. فأصبح هؤلاء يسعون إلى ضمان تصوير الحياة الشرقية على النحو الذي يتطابق مع التصورات التي استنبطوها من **"الليالي"** التي قرأوا عنها في أوربا وهم صغار السّن، فظهر مع بداية القرن التاسع عشر مصطلح **"الرحلات الفكتورية"** التي يعتبر أصحابها الشرق منجماً لا تنضب خزائنه من الرومنسيات الحسّية، فبقي هذا الإقليم الخيالي أملًا للشعراء المعذبين وحلماً للكتاب الخياليين [4]

---

[2] V.O; P944-967.

[3] الاستشراق، الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي. محمد الدعمي. مركز دراسات الوحدة العربية. ط1، بيروت، 8112. ص 91.

[4] نفس المرجع، ص 99- 92 .

وفي نفس السّياق اهتم لمارتين بالشّعر العربي خاصّة الجاهلي، وظهر ذلك جلّيا من خلال الجزء الّذي خصّه للشّاعر العربي الجاهلي **عنتر بن شدّاد** إذ ترجم جزءا من قصائده الى الفرنسية، كما قام أيضا بسرد قصّته البطولية، هذا بالإضافة الى الجزء الّذي خصّصه لمخطوط رواية **" فضل الله الصّغير"** وهنا أشار لمارتين الى مساعدة زوجته له في ترجمة هذه الرّواية وهي مساهمة منهما في إثراء الأدب الفرنسي [5] ضف الى ذلك فإنّ لمارتين لم يكن يجهل الشّرق تماما بل توّفرت لديه المعرفة المسبقة به، بتاريخه بجغرافيته وبمجتمعاته و اكتسب ذلك من خلال مطالعاته الّتي سبقت الرّحلة خاصّة اطّلاعه على من سبقه من الرّحالة الفرنسيين المعاصرين له ككتاب **"مسار رحلة من باريس الى القدس ومن القدس الى باريس" لـ شاتوبريان** 0200م ، و**" رحلة الى مصر وسوريا" لـ فولنيي** 0121م .

ومنه ساهمت هذه الرّحلّات في تكوين معرفة حديثة بمجتمعات الشّرق و أحوالها من مختلف النّواحي ومنه سعى لمارتين من جهة الى تأكيد تلك المعلومات أو تغطية بعض النقائص الواردة فيها[6] كما أنّ لمارتين لم يبخل في ذكر أسماء المؤرّخين الّذين تعرّف من خلالهم على الشّرق سواء كانوا فرنسيين أو من جنسيات أوربية أخرى كالمؤرّخ الإسباني **دولابوردي** و المؤرّخين الفرنسيين **فرانسوا ميشو** و **فرانسوا بوجلا** [7]وحتّى يستكمل لمارتين معرفته بالشّرق اطلّع على تقارير ومذّكرات الضّابط الفرنسي **"كاميل أنطوان كايي"** الّذي شارك في حروب نابليون على مصر، فساعده ذلك كثيرا على رسم مسار الرّحلة. [8]

---

[5] V.O.P796- 940.

[6] Opcit ;P 142.

[7] Opcit ; P78.

[8] V.O ;P 79.

الفصل الثالث: رحلة لمارتين الى الشرق (2381-2388)

1- الاستعداد والانطلاق:

انطلق لمارتين في الإعداد للرّحلة مباشرة بعد فشله في انتخابات التّرشح في الجمعية العامّة عام **2382**م، ونظرا لأهمية وطول مسار هذه الرّحلة كان من الضّروري أن يحسن اختيار السّفينة المناسبة لذلك ، فقام باستئجار إحداها عرفت باسم **"سفينة آلساست"** والّتي تتمتّع بقدرة حمولة 851 طنّا ،و أسند قيادتها الى القبطان **" بلان دو لسيوتا"** يساعده في مهمتّه فريقا من ستّة عشرا رجلًا و بهذا الصّدد يقول لمارتين أنّه أولى عناية قصوى خاصّة في اختيار قائد السّفينة الكفء لأنّ الأمر يتعلّق بحياته و حياة أسرته و أصدقائه الّذين سيرافقونه في الرّحلة.

كما أشار لمارتين الى المساعدة الكبيرة الّتي قدّمها له أحد الأصدقاء من مدينة **مرسيليا** في هذا الشّأن وهو البحّارة **"برونو روستان"**، ومن بين الأصدقاء الّذين رافقوه صديق الطّفولة كما ذكر" **أميدي دو برسفال** " والطّبيب **"جون دو لرويار"** وصديقه أيضا" **فرديناند دو كومباس"** وذكر لمارتين أنّ سبب اهتمامه بمن سيرافقه في الرّحلة هو حاجته لخدماتهم ولنصائحهم وتوجيهاتهم له خاصّة أثناء الأوقات العصيبة الّتي قد تعترضه أو لمناقشتهم في قضايا أو مسائل معيّنة. (9)

اختار لمارتين أن يكون الانطلاق من ميناء **"مرسيليا"** الّتي استّقر بها لبعض الأيّام **(من 11ماي الى 21 من جويلية 2381)** وهناك تلّقى أسمى معاني الأخوّة والاحترام الّذي أحاطه به سكان المدينة وأعيانها خاصّة من الطّبقة المثّقفة والبرجوازية ليصفها هو الآخر مبدئيا إعجابه بما رآه فقال: **"مرسيليا احتضنتنا كأنّنا أطفالها، سماؤها الجميل ...إنّها بلدة الكرم والفؤاد ومشاعر الرّوح"** (10)

---

(9) Op.cit. ;P82-89.

(10) V.O ;P 83.

ثمّ ذكر أسماء الشّخصّيات الّتي تشرّف كثيرا بلقائها في المدينة وشكر لهم حسن استقبالهم وضيافتهم له وأهمّ نقطة تحدّث عنها لمارتين في هذا الجزء هي حفاوة الاستقبال الّذي لقيه من قبل أعضاء **"أكاديمية مرسيليا"** بتاريخ **11جوان 2381** م والّذي ردّ عليه بإلقاء بعض قصائد الشّكر، المحبّة والوداع [11] وككلّ الرّحلات الطّويلة الّتي تتطلّب التّحضير الجيّد أشار لمارتين الى مؤونة السّفر الّتي حضّرها لذلك فتحدّث عن الغذاء والماء والأدوية بالإضافة الى الأسلحة المختلفة من بنادق ومسّدسات وخناجر كما زوّد السّفينة أيضا ببعض المدافع و ذكر أربعة منها ، كلّ ذلك تحسّبا للأخطار الأمنية الّتي قد تعترضه أثناء الرّحلة خاصّة وأنّه يعلم بسوء الأحوال في الجهة الشّرقية من البحر المتوّسط سيّما بالسّواحل الجنوبية لليونان. [12]

ومن أهم الأشياء الّتي زوّد بها لمارتين سفينته **المكتبة** الّتي حملت بين رفوفها قرابة الخمس مائة كتاب تمّ اختياره بعناية كبيرة، وهي في المعظم كتب في التّاريخ أو الشّعر أو في الرّحلات وهذا ما يدّل فعلا على اطّلاعه الواسع بتاريخ شعوب الشّرق وأممه المختلفة عبر مختلف العصور خاصّة القديمة منها.

بالإضافة الى اطّلاعه أيضا على المعتقدات والعادات والتّقاليد السّائدة هناك، وهذا ما يدفع بنا الى التّساؤل عن سّر هذا الاهتمام بالشّرق فهل يعقل أن يكون دافع المعرفة هو الدّافع الوحيد لذلك؟ وان كان الأمر كذلك، هل هذا هو نفس الدّافع بالنّسبة للرّحلة؟

- الانـــــــــــطلاق:

انطلق لمارتين في رحلته **يوم 21جويلية 2381 م** من ميناء مرسيليا بالقرب من مكان يدعى **خليج مونتردون** متّجها شرقا نحو الّسواحل الجنوبية لإيطاليا ، غادر لمارتين

(11) Op.cit ; Adieu-Hommage «à l'Académie de Marseille» ;P84-88.

(12) Opcit ;P 88.

وطنه و قد امتزجت لديه مشاعر الحزن بمشاعر الفرح و الأمل ، الحزن لفراق الوطن والأهل و الأصدقاء خاصّة و أنّه تذّكر والدته المتوّفية حديثا فتمنى لو كانت حاضرة معه أثناء تلك اللّحظات و لكانت من بين مرافقيه الى الأ ارضي المقدّسة الّتي يعتزم زيارتها فعبّر عن ذلك قائلا :" **رحلة الحجّ هذه كانت تعني أكثر والدتي لكنّها اليوم هي رحلة الابن الّذي أحبّته والّتي ستفرحها في عالمها الأبدي أين تتواجد روحها الّتي تحرسني دائما وتتواجد معي في لحظات حزني و فرحي ...**" [13]

لكن مقابل ذلك يع بر لمارتين عن مشاعر الفرح بتوجهه نحو أراضي الشرق أي بالنسبة له الاقتراب من جذور الانسانية الأولى ومن مصدر أفكاره وخياله إذ يقول إنه يشعر دائماً بانتمائه اليها بالرغم من تواجده في أوربا" **طوال حياتي كان الشرق أرض أحلامي... جسدي كروحي كلاهما ابنين للشمس، يحتاجان دائما لها كي يحافظا على حياتهما** [14]

كما لم يف وت لمارتين فرصة التعليق عن آخر الأحداث السياسية في فرنسا خاصة ثورة جويلية **2381** التي أطاحت بنظام "آل بوربون" الملكي، فهو مع كل تغيير هادف خاصة إذا ما رافق هذا التغيير حياة أفضل للمواطن ،وهذا بالرغم من علاقته القوية بالأسرة الملكية ، لكن هو يتخوف من الانقسام الذي أحدثته الثورة في صفوف الطبقة السياسية الفرنسية إذ أصبح هنالك تيارين : تيار تجديدي يرغب في التغيير الجذري للأوضاع وتيار

محافظ يريد الإبقاء على الوضع الدعوة إلى استمرار الملكية، فالحل بالنسبة له يكمن في الحوار مع أفراد المجتمع أي أن القرار النهائي يتخذه الشعب. وبالكلمات التالية غادر لمارتين وطنه: " **سنعود لفرنسا بعد سنتين، أدعو من الله أن يحفظها ويحفظ كل من تركناه من عزيز وغال علينا في كل مكان** " [15]. هكذا كانت بداية الرحلة اذ توجهت السفينة شرقا

---

(13) V.O ;P 92-93.

(14) V.O.P 91.

(15)Opcit. P 93-95.

نحو السواحل الجنوبية لإيطاليا قبل الوصول الى اليونان وفي مساره هذا وصف لمارتين المناطق التي تراءت له أو توقف عندها، فأشار مثلا إلى **"خليج سيوتا "** الواقع بالقرب من بلدة **"بروفنسيا "** الايطالية وهي منطقة جميلة استقر بها يومين كاملين فوصف طبيعتها وعمرانها وسكانها الممتهنين لحرفتي الصيد والتجارة. [16]

بعد خليج **"سيوتا "** كانت محطته الموالية جزيرة **"سردينيا"** وهي من الجزر الايطالية، التي لم تتمكن السفينة من الرسو نظرا لسوء حالة البحر فاضطر القبطان الى مواصلة المسير نحو **"خليج بالما"** الواقع بين جزيرتي **"سردينيا"** و**" صقليا "** وهو المكان الذي تعرضت فيه السفينة لعملية توقيف من قبل حراس الحدود الايطاليين، فأنقذ لمارتين الموقف بحديثه معهم باللغة الايطالية كما ذكر أسماء أصدقائه هناك، لتمر هذه الواقعة بسلام [17]

بعدما استأنف لمارتين وفريقه الرحلة نحو اليونان اقترب أكثر من سواحل افريقيا بالضبط سواحل قرطاج هذه المدينة المتوسطية التي تأثرت بمختلف الحضارات القديمة
فساهمت كل منها في وضع لبنة من لبنات تاريخها، ليذكر لمارتين القارئ بأهم المحطات التاريخية لقرطاج انطلاقا من الفترة الفينيقية الى الرومانية و بطولات القائد **"حنبعل"** لينتقد الرومان وحضارتهم فيقول: **" لم أستطع أبداً أن أحب الرومان"** و يقول أيضاً : **" اكتشفت فيما بعد سر ميولي أو عزوفي عن ذاكرة وماضي بعض الشعوب فهو يكمن في طبيعة مؤسساتها و انجازاتها فالفينيقيون في صور أو صيدا أو قرطاج صنعوا مجتمعات تجارية ، تؤمن باستغلال الأرض لتحقيق الفائدة .. أنه لا يهتم بتاريخها فهو يكتفي بالمشاهدة والعبور...بينما هناك شعوب أخرى تستحق أن يحبها ويحترمها كالمصريين القدامى واليهود وحتى الهندوس واليونانيون لأنها جعلت للسياسة مثلًا وجعلت من الروح جوهر الانسان ... أنها لا تؤمن بالموت فهي ترفض أن تموت وآثار هؤلاء تتحدث عن حياتهم**

---

[16] Opcit. P 101-101.

[17] V.O.P 102-116.

لكل من عبر الصحراء ... فهي سخرت حاضرها لمستقبلها بل هي اعتقدت دائما بالحياة الأبدية ..." [18]

يواصل لمارتين سرده لتاريخ قرطاج القديم إذ يذكر أكبر الملاحم والأساطير **"كأسطورة ديدون"** وأسطورة القائد البيزنطي " **بيليزار**" وعليه يتبين لنا أن **لمارتين** قرأ الكثير عن تاريخ الشرق وحضاراته القديمة بما فيها تاريخ شمال افريقيا لكنه لم يكتف برواية. هذا التاريخ وانما التعليق على أحداثه وشخصياته وفق اعتقاداته الفكرية والفلسفية والتي تتجه بشكل ضمني الى التمييز بين هذه الشعوب وتاريخها كان يحصر تاريخ قرطاج في الخرافة والأسطورة قائلا: **" ان الجانب التاريخي لقرطاج أكثر شاعرية من الشعر نفسه... ان كل ما بقي من هذا المكان أو بالقرب منه بقايا أثار قديمة ومعابد مدينة بربرية ممتدة تضاريسها نحو البحر الواسع والتي نجهل أسماء سكانها ...الذين يتوفون غرباء في أوطانهم... ان الحياة في هذه العزلة والحياة على وقع الماضي هي الموت بعينه..."** [19].

كما أن لمارتين لم يتجاهل أبدا وصفه الدقيق لجغرافية المكان إذ يذكر كل ما تلمحه عيناه من جبال أو جزر أو تلال أو حقول، ليصف أيضاً كل أنواع النباتات سواء كانت طبيعية أو قام السكان بزراعتها فيقدم للقارئ مادة خاما ووصفا شاملا ودقيقا عن هذه الأماكن فيجعلك تشعر باستخدامه لهذا الأسلوب وكأنك ترافقه في هذه الرحلة خطوة بخطوة.

بعد السواحل الافريقية يواصل لمارتين رحلته شرقا إذ توجه هذه المرة نحو **"جزيرة مالطا"** التي بلغ سواحلها يوم **11 جويلية 2381**[20].

أقام لمارتين بمالطا أسبوعا كاملا لتكون هذه الجزيرة من المحطات المميزة في رحلته خاصة وأنه أعجب بطبيعتها كما أبدى ذلك في العديد من المرات من خلال وصفه لمناخها

---

[18] Opcit . P 1.16- 119.

[19] V.O.P. 119-121

[20] Opcit; Po 122.

وهوائها الدافئ المنبعث من بسواحل افريقيا ، فضلا عن اعجابه بعمرانها الذي جمع بين الطابع الأندلسي والطابع الايطالي ، فوصف منازل بلدة **"فاليت"** أين سيلتقي مع قنصل فرنسا **"مياج"** و الذي سيمكنه بدوره من لقاء الحاكم البريطاني **"فردريك بون سونبي"** والذي منحه بدوره إذناً بالتجوال في المدينة ، طاف لمارتين بمختلف أرجاء المدينة الى أن تمكن من بلوغ كنيسة **"القديس جون"** وهناك تحدّث عن اللوحة التشكيلية التي أثارت انتباهه والتي تزيّن قبة الكنيسة والمعروفة بـ **"لوحة الملك مايكل دو كارفاجيو"** كما تحاور مطولا مع البابا المشرف على الكنيسة الكاثوليكية و المدعو **"بالونتي"**[21]. بعد مالطا كانت الوجهة الجزر اليونانية وقد استغرقت الرحلة أسبوعا كاملا مرورًا بمجموعة من الجزر منها: **"سيرجيو"**، **"المورة"** و**"البيلوبونيز"** لكن رافقه خلالها القبطان الانكليزي " **ليون"** على متن سفينته " **مدغشقر"** وهذا تحسباً لخطر القراصنة اليونان [22].

- اليونان كما وصفه لمارتين:

كانت بداية حديث لمارتين عن اليونان باسترجاعه لبطولات الشعب اليوناني في حربهم الأخيرة ضد العثمانيين فذكر اسم " **كابو استريا"** قائد الثورة اليونانية والذي ضحّى بروحه ودمائه من أجل استقلال بلاده فهو حسب لمارتين رمز المواطنة والمجد [23].

بعد ذلك استرسل لمارتين في وصفه لجمال المكان ويستغرب كيف تجاهل بعض الرحالة من قبله وصف المكان فقال:" **المشهد خال، لكنه مليء بالماضي، الذاكرة تعم المكان ... هذه المجموعة السوداء من المروج والرؤوس والطرقات التي تلمحها العين كلها مرة واحدة، وكأنها جزيرة صغيرة تترامى في وسط المحيط ... هذه الأرض التي يعتبر**

---

[21] V.O, P 123-130

[22] ورد في الصفحة 099 من الرحلة تعرض بسفينة لمارتين إلى عملية هجوم من طرف القراصنة اليونان، فاضطر الى استخدام الأسلحة، كما أن هؤلاء القراصنة فروا لمجرد رؤيتهم السفينة الانكليزية.

[23] Opcit; Po 141.

تاريخها جزءاً من تاريخنا، إن معبد الأولمبي هو سماء مخيلتنا، انها منطلق الفلسفة والشعر" [24].

تميز وصف لمارتين لليونان بالشاعرية كيف لا وهو من رواد الشعر الرومنسي الذي يستلهم أفكاره من الطبيعة، في نفس الوقت أفصح عن بعض هواجسه الفلسفية والدينية والعاطفية من خلال القصيدة التي نظمها صبيحة الأول من أوت والتي بعث بها الى صهره
وصديقه " **مونتيرو**"، كما عبّر عن حزنه لفراق الوطن والعائلة والأصحاب. بعدما استقطع لمارتين مذكراته بتلك الأفكار والهواجس عاد الى وصف المناظر الطبيعية المحيطة به خاصة وأن جغرافية اليونان مميزة بالطابع الجبلي والجزري ، فذكر لمارتين كل الجزر
والرؤوس والخلجان التي مرّ عبرها كخليج " **سان أنجيلو**" المعروف قديماً بخليج "**ماليا**" والذي يعدّ من أصعب الخلجان وأخطرها إذ كان بمثابة الملجأ الذي يأوي اليه القراصنة ، كما ذكر أيضا أسماء القمم الجبلية التي تراءت له كجبال "**كروميوس**" و" **أورتاس**" وصولا الى جزيرة " **كريت**" التي بلغها يوم **7 أوت 2381** وهنا تحدّث عن قمة " **إيدا**" الشامخة الارتفاع المغطاة بالثلوج بالرغم من أن الفصل هو فصل الصنيف، ثم يواصل لمارتين رحلته
في المنطقة وصولا الى خليج " **أرقوس**" الذي يحتضن أكبر المدن اليونانية : **نوبلي وبالميدي**[25].

- الحياة الاجتماعية في اليونان كما وصفها لمارتين:

من حين لأخر كان **لمارتين** يتطرق لوصف الحياة الاجتماعية من خلال الاشارة إلى الطابع العمراني الذي تميزت به المدن والقرى اليونانية والذي جمع بين الطابعين الأوربي والاسلامي وهذا أمر طبيعي يتناسب وموقع اليونان الذي سمح بالتقاء مختلف الحضارات المتوسطية ، كما أنها شكلت ملتقى الشعوب إذ تحدّث لمارتين عن السكان الأصليين

---

[24] V.O P;142-143.

[25] Opcit; P 145-153.

بالإضافة إلى من بقي من الأتراك (بعد الحرب) وكذا الأوربيون إما تجار أو مقيمين من سفراء وقناصل كما وصف أيضا أكثر المهن انتشارا في البلد والتي شكلت مصدر رزق لأغلب السكان وهي: الصيد والزراعة خاصة وأن اليونان غني بأراضيه الخصبة التي تسمح بزراعة مختلف أنواع الخضر والفواكه فأشار لمارتين الى انتشار زراعة الكروم والزيتون و كذا تربية المواشي فقال: **"انها حياة أغلب اليونانيين، مصدر حياتهم هو البحر مصير هذه البلاد مكتوب في الطبيعة : إنه البحر..."** [26].

لكن نشاط السكان مؤخرا شهد نوعا من الركود بفعل الحرب إذ انتشرت مظاهر الفقر والبطالة واتضح الأمر من خلال الذمار الذي مس عددا من المنازل وجلوس المئات من اليونانيين حواف المقاهي. [27]

- الوضع السياسي في اليونان كما وصفه لمارتين:

بداية أشار لمارتين إلى حالة الفوضى واللاستقرار التي طبعت وميزت الحياة العامة في الجزيرة نتيجة الاضطرابات السياسية الأخيرة مع الأتراك والتي لاتزال آثارها بادية من خلال انتشار الثكنات العسكرية التي يقيم بها الجنود الأتراك تحت حالات ترقب واستعداد لأي هجوم قد تقوم به بعض العصابات الراغبة في السطو على ممتلكات السكان من أراضي أو منازل.[28]

اقترب لمارتين أكثر من الحياة السياسية في اليونان ليفهم تفاصيل الوضع من خلال حضوره لإحدى جلسات البرلمان الذي أخذ في تلك الأثناء طابع المجلس الحربي، وصف لمارتين مكان المجلس فهو بالرغم من بساطته إلا أنه كان مكانا تتخذ فيه القرارات الكبرى المحدّدة لمصير البلاد، هو مجلس يتزعمه شيوخ المناطق الجبلية كما يتألف أيضا من

---

[26] V.O P;152-153.

[27] Opcit; P 153-154.

[28] ورد في ص059 من الرحلة أسماء العصابات: Les Klephites et les Colocotron

التجار ومن ممثلين عن عامة الشعب وكلهم رغبة في استكمال استقلال بلادهم من الحكم العثماني. [29]

من جهة أخرى تحدّث **لمارتين** عن استمرار تواجد فرق من البحرية الانكليزية بقيادة الأميرال **"هوتام"** ومن البحرية الفرنسية بقيادة الأميرال **"هوغون"** وهي قوات التحالف الأوربي (الانكليزي، الفرنسي، الروسي) التي ساندت اليونان في حربه الأخيرة فسمت هذا التّدخل بـ **"انقاذ اليونان"** بالمقابل توجه السلطان **"محمود الثاني "** من طلب الدّعم من **تونس ومصر**، لكن وبعدما تمكنت قوات التحالف الاوربي من هزيمة الأسطول العثماني في ميناء **" نافرين"** في شهر أكتوبر 0281، بعد ذلك طالبت فرنسا وانكلترا من العثمانيين الاعتراف باستقلال اليونان من خلال الامضاء على معاهدة **"لندن " 2313** ثم التوقيع على" **صلح أدرنة " 2311**، لذا اضطرت إلى البقاء في اليونان في انتظار أن تسترجع كل الأقاليم سيادتها، وهو الأمر الأكثر ترجيحا من قبل الدراسات التاريخية التي اهتمت بالمسألة اليونانية، بالإضافة الى استمرار التخوف الأوربي من التوسع الإقليمي لروسيا في اليونان وكذا رغبة **"محمد علي باشا"** في ضمه لجزيرتي **"المورة" و"كريت".**[30]

كما اتضح لنا أن استقبال الطبقة السياسية اليونانية **للمارتين** لم يكن مجرد صدفة بل هو بمثابة رد الجميل لما بذله المثقفون وخاصة الأدباء الفرنسيون من جهد من أجل اقناع حكوماتهم بالتدخل في الحرب لصالح اليونان كـ:" **شاتوبريان** " الذي ألقى خطابا بمجلس النواب موضوعه: **الحرب في اليونان**، و" **فيكتور هيجو**" الذي رثى بقصائده سقوط المدن اليونانية في يد الأتراك. [31]

---

[29] V.O; P154-155.

[30] محمد سهيل قطوش: تاريخ العثمانيين، من قيام الدولة إلى انقلاب على الخلافة. دار النفائس. الطبعة 8، بيروت 8112. ص 499-492.

[31] نفس المرجع: ص 498.

من جهة أخرى لا يمكننا تفسير هذا التدخل الأوربي العسكري الكبير الا تفسيراً واحداً وهو حالة الضعف العسكري الذي بات يميز الدولة العثمانية نتيجة كثرة الصراعات بين السلطان والجيش الإنكشاري في هذه المرحلة وهو الأمر الذي يستدعي سرعة تدارك واصلاح للوضع. [32]

بعد اقامة لمارتين في أثينا شد رحاله مجددا نحو بلاد الشام مرورا بجزيرتي "رودس " و"قبرص" وهناك تقريبا الوضع لم يختلف كثيرا عن أثينا اذ غلبت على المكان حالة الجمود والتخلف وسبب ذلك حسب لمارتين هو سياسة العثمانيين التي لا تشجّع على التطور إذ يقول: **"انه نفس الوضع السّائد في قبرص أو في اليونان، في مصر أو سوريا ... إن الأتراك بحكم اعتقادهم بالإسلام لا يسعون إلى إحداث التغيير في الطبيعة بل كل ما يقومون به هو بناؤهم للمساجد فهي أهم ما يحتاجه المسلم، لأن القرآن يعدهم بحياة أفضل في الجنة ..."** (33)

ليواصل لمارتين طرحه السياسي المبني على أفكاره الاستشراقية المعادية للإسلام والتي لم يختلف فيها عمن سبقه من رحالة فرنسيين و أوربيين و الذين حاولوا استغلال حالة الضعف التي آل اليه الشرق للدّفاع عن مشاريعهم ونواياهم الاستعمارية المبيّتة ضد دوله وأقاليمه، إذ أن هؤلاء الرحالة لم تكن تنقصهم أبدا المعرفة بالإسلام الصحيح بل على العكس تماما، ففي العديد من المناسبات وجدناهم يمدحون في الإسلام و في الشرق و هو نفس التناقض الذي وقع فيه لمارتين اذ نجده تارة يصف الشعوب الشرقية بالرقي والتحرر و تارة أخرى بالتخلف والبدائية ومن ثمة وجب على الغرب تمدينهم وتصريحه التالي نجده دليلا

واضحا على هذا الطرح :**"هذا المكان يعد بالكثير ، وهو مناسبا جدا لمن يرغب في السير**

---

[32] شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية. جمعه وحققه حسن السماحي سويدان. دار ابن الكثير. الطبعة 0، بيروت 8100. ص824-829

[33] V.O; P181.

على خطى نابليون ... إن الاستلاء على الجزيرة لا يتطلب قوة ضخمة، بالإمكان تحقيق ذلك مع قليل من المال والجند... هذا كل ما تحتاجه أوربا ، المزيد من المستعم ارت حتى تتمكن من مواجهة القوى الأخرى المنافسة لها في المنطقة ..." (34)

❖ **لمـــارتين في بلاد الشّـــام:**

2- **لـــــبنان: تمكّن** لمارتين من مشاهدة المناظر الأولى من لبنان يوم **5 سبتمبر 2381** م زوالا وعبّر أثناءها عن المشاعر القويّة الّتي انتابته عند رؤيته لتلك المناظر لأوّل مرّة فهي الأرض الّتي رافقت تفكيره، أرض الإنسانية الأولى، تمّت عملية الإنزال في اليوم الموالي وهذا بميناء **بيروت** الّتي ستكون أوّل محطّاته في **بلاد الشّام.** (35)

- بيـــــروت كما وصفها لمارتين :

كان أوّل وصفه لها: **" إنّها أكثر المدن سكّانا في الشّام ، كانت قديما مستعمرة رومانية تدعى جوليا- فليكس وهي تسمية أطلقها عليها الإمبرطور أوغسطين ، تحتّل البلدة تلّة جميلة تمتّد الى غاية البحر تحيط بها سلسلة من الجبال كما أنّ هذه الجبال تمتّد الى غاية البحر أين تأخذ شكل لسان صخري يسمح برسّو السّفن لأنّه يحمي الخليج من الرّياح الشّرقية ...كما تجاورها مدن أخرى كـ : صور ، صيدا،طرابلس و أطاكية ...وهي كلّها مدن قديمة ..."** (36) .

أعجب لمارتين كثيرا بجمال الطبيعة في بيروت فوصف كلّ ما شاهده بدّقة متناهية الى درجة أن يعتقد القارئ أنّه أمام لوحة فنيّة في غاية التّناسق و الجمال ، إذ وصف البحر القريب من الّسهول الغنّية المكسّوة بكلّ أنواع الأشجار المثمرة منها : الكروم ، أشجار الرّمان

(34) Opcit ; P 183-184.

(35) V.O ; P186-187.

(36) Opcit ;P 190.

، الزيتون ، و أنواع أخرى لم يتعرّف عليها ، لكن أكثر ما شدّ انتباهه هو شجرة الأرز اللّبناني بمنطقة الجبل ، هذه الشّجرة المباركة لدى اللّبنانيين عامّة و لدى الدّروز خاصّة لأنّها تذكرّهم بأميرهم الأوّل "فخر الدّين " الّذي أمر بزراعة المزيد منها حتّى أصبحت تغطّي كلّ الجبل و اتخذّ من المنطقة عاصمة لدولته (إمارته). [37]

- الحياة الاجتماعية في بيروت كما وصفها لمارتين:

أول و أهمّ ما أثار انتباه لمارتين هو ذلك الانسجام الذي يميز المجتمع على اختلاف تركيبته إذ أن المجتمع في بيروت يمزج بين العرب (بدو و حضر) ، بين الأتراك وبين العديد من العناصر ذات الأصول الأوربية كما أنه يجمع كل الديانات السماوية فيوجد المسلمين (السنيين و الشيعة) ، المسيحيين (الأرثوذكس و الكاثوليك) ، بالإضافة الى أقلية
من اليهود ، ركز المارتين كثيرا على المجتمع في بيروت اذ أنه خصص له جزءا من كتاب الرحلة تحت عنوان " شعوب لبنان" ذكر فيه أقم القبائل المشكلة للمجتمع مع وصف مدقق لها من حيث الأماكن التي تقيم بها ، من حيث تعدادها ، من حيث نشاطاتها الاقتصادية ، معتقداتها الدينية ، دون أن يهمل تاريخها و علاقاتها السياسية. [38]

فضلا عن ذلك اهتم لمارتين بالحياة في المدينة فوصف شوارعها، أزقتها، منازلها وأحياءها، أسواقها، عادات وتقاليد السكان في بعض المناسبات وكذا الحالة المعيشية لمختلف الشرائح والطبقات.

---

[37] الأمير"فخر الدّين "(0518-0245): أوّل أمير للدّروز وهو من قبيلة "معن" ونتيجة حربه مع الأتراك فرّ الى توسكانا الإيطالية، يعود له الفضل في تأسيس أوّل مطبعة بلبنان.

[38] V.O ; P483-505.

الشعوب والقبائل في لبنان كما وصفها لمارتين: ذكر لمارتين القبائل التالية:

2-الموارنــة: سبق له وأن اطلع على هذه القومية من خلال كتابات الرحالة الفرنسي "**فولنيي**" الذي زار الشرق مع أواخر القرن **23**، وذكر في كتاب **"الرحلة الى سوريا ومصر"** الموارنة اذ قدّر عددهم سنة **2731** بأكثر من **211** ألف نسمة ليرتفع العدد الى حوالي **111** ألف حسب تقديرات لمارتين، ثم تحدّث عن مساحة الاقليم الذي يشغله هؤلاء والمقدرة بـ **251** كم^2 بحدود مؤقتة متغيرة باستمرار، يتواجد هذا الإقليم بأعالي جبل لبنان وكذا في السهول والدروب المحيطة بالجبل. (39)

كما حاول **لمارتين** **اعطا** القارئ فكرة عن تاريخ الموارنة بالاعتماد دائما على **ء**

المعلومات التي جمعها عنها "**فولنيي**" كونه أقام بينهم بعض الأشهر، هذا في ظل نقص المصادر التاريخية الخاصة بتحديد أصل هؤلاء والذي يرجح أن يعود الى قديس يدعى " مارون" اتخذ من جبال لبنان موطنا لعزلته منذ **111** سنة، ثم انتقل الى الصحراء والى أطراف الشتام وأسس هناك برفقة مريديه عددا من الأديرة فأصبح هؤلاء يدعون بـ "الموارنة" نسبة لذلك القديس. (40)

أشار **لمارتين** الى المواصفات الفيزيولوجية التي يتميّز بها الموارنة فقال:" ذووا بنية ضخمة، يتميزون بالجمال والنظرة الحادّة والابتسامة الساحرة والهادئة، أعينهم زرقاء اللون، لحاهم بيضاء ... فمهما كان أصل هؤلاء من العرب أو من الشتام فهم شعب مختلف عن بقية شعوب المشرق، فكأنك ترى مستوطنة أوربية رمتها الصدفة بين أحضان القبائل الصحراوية..." (41)

(39) Opcit ; P484.

(40) V.O ; P483.

(41) Opcit ; P487.

كما تحدّث عن نظامهم الاداري فقال أنهم يعتمدون على "الشيخ" الشبيه بالسيد الإقطاعي في أوربا، سلطته ادارية ودينية في نفس الوقت، فهو الوحيد الذي يملك القرار فيما يتعلق بالزواج، الطلاق و الضرائب. كما أن لرجال الذين مكانتهم المميزة اذ يتلقى هؤلاء الأوامر والتعليمات مباشرة من البابا في روما أي أن سلطتهم مستقلة عن سلطة الشيخ وهم أكثر اندماجاً في المجتمع إذ يمارس هؤلاء الزراعة، كما يسمح لهم على عكس ما هو معروف لدى بقية رجال الذين المسيحيين بالزواج،

وقد أحصى عددهم ما بين **11** الى **15** ألف راهب موزعون عبر 811 دير منتشر عبر الأراضي اللبنانية.

حاول **لمارتين** أن يقدّم للقارئ كل ما يتعلق بحياة **الموارنة** فأشار أيضا الى أنشطتهم الاقتصادية إذ تعتبر الزراعة نشاطهم الرئيسي خاصة وأنهم يقيمون في مناطق جبلية ذات أراضي خصبة و مياه وفيرة، فاستطاعوا أن يحولوا ركام الجبال من السفوح الى القمم الى مساحات خضراء منتجة لمختلف المحاصيل من: تين، توت، كروم، ذرة، قمح شعير، تربية دود الحرير...الخ. كما يعملون على بيع هذه المنتوجات في مختلف الأسواق المحلية القريبة منهم. [42]

كانت انطباعات **لمارتين** عن هذا الشعب جدّ ايجابية ليسهب في وصفهم قائلا: **"انهم شعب يحب الأوربيين و يرى فيهم الإخوة ، أخوة العقيدة ، انها أقوى الروابط ... لذا تجدهم يرحبون و يستقبلون كل من يأتيهم من أوربا سواء كان رحالة أو مبعوث فإما أن يستقبله القس أو الشيخ يقدّم له كل ما تنتج الأرض،**

يدمج كلية في المجتمع الى درجة أن يسمح له برؤية النساء ، يعامل بثقة كاملة،

يقيم علاقات صداقة مع جميع الأسر... الأجمل من كل ذلك انك تجد نفسك تتجول بكل أمن دون أن تفرض ذلك القوانين فالعقيدة و الأخلاق هي النظام بهذا

---

[42] V.O ; P484-487.

المجتمع، إذ لا أثر للسرقة أو الاعتداء فإنك لا تحتاج الى مرشد في الليل أو في النهار، فالأجنبي محترم لدى العرب المسلمين وهو أكثر احتراما لدى العرب المسيحيين..."(43)

ليواصل لمارتين في إمداد القارئ الأوربي بانطباعاته الايجابية عن الموارنة وعن امكانية استغلال أوربا لروح القتال والشَّجاعة التي يمتازون بها في إقامة وطن خاص بهم على غرار ما كان يقوم به "محمد علي " فيقول: "الموارنة شعب شجاع ومحارب ككل **سكان الجبال، نهض منهم 81الف الى 11ألف رجل تلبية لنداء الأمير البشير من أجل حماية طرقهم الجبلية، أو حماية سهولهم ومن ثَّمة زعزعة دمـشق وبقيّة البلدات السّورية المجاورة، من له الجرأة في اقتحام أراضيهم؟ خاصّة إذا ما تحالف هؤلاء ... فحتّى باشوات عكّا ودمشق لا يتدّخلون أبدا في حلّ نزاعاتهم ...لو يأت اليوم الّذي يظهر فيه الرّجل المناسب الّذي يؤمن بقدرتهم وبمستقبلهم، ثمّ يواصل: لا تمتلك مصر سوى رجلا واحدا بينما لا يمتلك لبنان إلّا هذا الشّعب..."** (44)

انطلاقا من هذه التّصريحات نكتشف مدى اهتمام لمارتين بتعدّد القوميات في لبنان وبحثه عن طبيعة علاقاتها مع السّلطة المركزية مثلما توّصل في ذلك مع الموارنة الّذين منعوا امتداد النّفوذ العثماني الى أقاليمهم بل تحالف هؤلاء مع بقيّة القوميات ضدّ الأ اترك، وهذا ما يفسّر أهميّة **سلطة المشايخ** في المنطقة ليذهب لمارتين في الطّرح الى أبعد من ذلك كون هذه القومية تستدعي تدّخل الدّول الأوربية من أجل حمايتها بحكم تشابه المعتقد الدّيني.

(43) Opcit ; P488.

(44) V.O ; P489-490.

1-الـــــدروز: في البداية حاول **لمارتين** أن يعرف بهم فيطرح فرضية الأصل الأوربي الذي يعود الى فترة الحروب الصليبية ، فهم ممن بقي من المسيحيين الأوربيين في بلاد المشرق أو أنهم من القبائل العربية التي رفضت الإسلام ففرت نحو الجبال حفاظا على ديانة الأجداد ، لكن نجده في الأخير يرجح فكرة الأصل اليهودي لهؤلاء فيقول : **"حسب أريي ان الدروز من الشعوب التي تاه أصلها في ظلمات الزمن لكنه يعود الى الانسانية الأولى فحسب هيأتهم الفيزيولوجية هناك تشابه كبير بين الدروز واليهود خاصة وأنهم يشتركون معهم في أكل لحم العجل فإما أن يكونوا من عرب البتراء أو من السمريين ..."** (45)

معتقداتهم: يرى لمارتين بأن معتقدات هؤلاء غامضة نوعاً ما، فما هي بالإسلام وما هي بالمسيحية وانما تكاد أن تكون أقرب الى المذهب الشيعي وهي الفكرة التي يتقاسمها مع العديد من الرحالة أمثال الأميرة الانكليزية" بينهم. (46) **لايدي ستانهوب**" التي أقامت يجتمع هؤلاء خلال يوم من أيام الأسبوع، كل في مكان عبادته، يذكرون جميع الأنبياء: موسى، محمد وعيسى، كما أنه يسمح للنساء بأداء هذه الطقوس.

المجتمع: بهذا الشتان تحدّث لمارتين عن مدى تنوع عادات وتقاليد الدروز انطلاقا من تعدّد معتقداتهم الدينية، ثم أشار الى انقسام المجتمع الدرزي الى: **عقال وجهلاء، فالعقال** هم حكماء القوم وهم رجال الذين ويقيم زعيمهم في بلدة " **متنى**" وجرت العادة لدى هؤلاء أنه بوفاة الشخص يجتمع كل من يعرفه حول قبره لجمع الشهادات عنه

---

(45) V.O;P490- 493.

(46)"لايديايستر ستانهوب"(0112- 0249) ابنة أخت رئيس وزراء انكلترا" ويليام بيت" ، فضلت بعد وفاة عمها أن تشتد رحالها نحو اسطمبول ، بقيت بها مدة ثم انتقلت الى الشتام لتستقر بجبل لبنان أين منحها سكانه من الموارنة و الدروز مكانة القديسة ، كونت صداقات قوية مع مشايخ القبائل في صحراء سوريا و العراق ومع الأتراك وكذا الأمير بشير وعبد الله باشا حاكم "عكا"، قام لمارتين بزيارتها في قصرها بلبنان فكان أول الأوربيين الذين استقبلتهم ، خصص لمارتين لهذه الزيارة فصلا بعنوان " زيارة الى السيدة ايستر ستانهوب" من الصفحة 880 الى 850.

فإن كانت ايجابية كتب العقال على قبره عبارة " **رحمه الله** "، و إن كانت الشهادات سلبية التزم الجميع الصمت، كما أنهم يعتقدون أيضا **باستنساخ** الأرواح فإن توفى الشخص منهم وكانت روحه طيبة انتقلت الى أحد أقربائه أو محبيه أما ان كان العكس فتنتقل الروح الى الحيوان : الجمل أو الكلب.

كما أثار لمارتين ملاحظة هامة تخص الدروز وتتعلق باهتمامهم وعنايتهم بالتعليم اذ يقول أن المدارس انتشرت في أراضيهم يتعلم فيها الصغار إما العربية أو
الق آرن وكذا الانجيل و المسيحية وقد اهتم بها و سيرها أيضا العقال من المجتمع.[47]

لنجده يركز أكثر على تاريخ الدروز و على علاقاتهم بالباب العالي وهذا منذ تأسيسهم للدولة في عهد "**الأمير فخر الدين**" و الذي اتخذ من أعالي جبال لبنان موطنا لدولته واختار " **دير القمر**" عاصمة لها، ثم امتداد نفوذ هذه الدولة الى غاية "**بعلبك**" السورية وصولا الى " **القدس**" بفلسطين الأمر الذي دفع باشوات **دمشق وحلب** الى الاستنجاد بالدولة العثمانية بينما لجأ الأمير الدرزي الى طلب الدّعم من **امارة توسكانيا** الايطالية، ثم فشل هذا الأخير في العودة الى موطنه لتكون نهايته الإعدام من قبل السلطان " **مراد الرابع**" بعدما تم ايهامه بتوقيع الصلح. بعد هذه الحادثة انتقل حكم الدروز الى "**آل شهاب**" وهي حسبما ذكر **لمارتين** أسرة ذات أصول عربية مكية واليها ينتمي حاكمهم" البشير شهاب الثاني" (**2311-2733**).[48]

والذي تمكن من زيارته وخصص له جزءا من كتاب الرحلة "**ملاحظات عن الأمير بشير**" فصل من خلاله تاريخ هذه الامارة من نشأتها الى غاية اللحظات التي جمعته بالأمير، وكل ما تعلق بتفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية الخاصة بهم

---

[47] V.O ; P493

[48] Opcit;P 490-492.

كالصراعات الداخلية بين أبناء الأمير " **فخر الدين** " و" **آل شهاب** " ومع حكام **عكا والقدس** خاصة " **الجزار**" وهو عم "**الأمير بشير**" والذي ساهم في استمرار الفتنة بين الأميرين: " **يوسف** " و" **البشير**" وقد أشار **لمارتين** الى هذا الصراع بكل تفاصيله، كما أشار الى موقف الدّروز من احتلال **بونابارت** للشام ، وكيف تعاملوا معه وأيضا صراعهم مع **مماليك** مصر وعلاقتهم بـ "**محمد علي**" وابنه " **ابراهيم باشا**"، وفي هذا الشأن يحاول لمارتين أن يقنع القارئ بأن أساس الاختلاف السائد في المنطقة هو الاختلاف الديني والمذهبي، كما هو صراع من أجل المصالح الضيقة ومن أجل السيطرة على الثروة لذا يصعب جدا أن تنجح محاولات الوحدة بين هؤلاء كما يصعب بناء أوطان قوية ومستقلة في ظل استمرار الحكم العثماني ويعبّر عن ذلك بصراحة عندما يقول: " **أشك في امكانية المشرق بأن يؤسس وطناً وهذا ما يساعد الأتراك على البقاء، انك لن تتمكن من رؤية المقومات المشتركة التي تحمل بذور الوطنية و التي تتوفر لدى بقية الشعوب والقبائل الخاضعة للإمب ارطورية كالقومية اليونانية والأرمينية ، البلغارية و الصربية ، أينما اتجهت في الشرق يمكنك أن تجد الانسان لكنك لن تجد الوطن ...**"(49)

8-المتـاولة: ما سجلناه كملاحظة أولى عن تعريف لمارتين للمتاولة أنه لم يكن بالحجم الذي خصصه للقوميات السابقة كما أنه أولى اهتماما واضحا بعلاقات المتاولة مع الدروز والموارنة، وكذا الصراعات الداخلية من أجل السلطة.

فبالنسبة لأصول هذه القبيلة يقول **لمارتين** انها من بلدة **بعلبك** إذ كانوا من ساداتها خلال القرن السادس الميلادي، ثم توسعت و امتدت الى أطراف لبنان مجتازين بذلك صحراء **البقعة** وفي لبنان زاد عددهم خاصة وأنهم اختلطوا مع الدروز فأصبح هؤلاء يشكلون قوة الأمر الذي دفع بالأمير "**يوسف**" الى محاربتهم و طردهم

(49)V.O ;P 252-268.

الى "**صفد**" **وجبال فلسطين** وهناك تحالفوا مع حاكم **عكا**" **ظهر باشا**" سنة **2711** م ضد الدروز وبعدما تمكنوا من هزيمتهم في مدينة **صور** الساحلية عزم" **جزار باشا**" الانتقام منهم وتحطيمهم وهذا منذ توليه السلطة على **عكا وصيدا** سنة **2777** م وفعلا تمكن من ذلك اذ لم يبق منهم سوى **511** أو **111** أسرة انصهرت لتعيش بين بقية الشعوب : الدروز و الموارنة ، ليشير لمارتين الى أنهم يمثلون ثلث سكان لبنان أثناء تواجده هناك.[50]

1-الأنصاريين: تعامل لمارتين في تعريفه لهذه القومية بنفس الأسلوب الذي عرف به سابقا المتاولة اذ لم يركز على خصوصياتهم الاجتماعية أو العقائدية وانما ركز أكثر على الصراعات التي ميزت المنطقة في ظل الاختلاف المذهبي بين القوميات المشكلة للمجتمع اللبناني، كما اعتمد على الرحالة "فولنيي" في التعرف على هذه القومية وهو يعتبره التعريف الكافي الذي لن يضيف اليه الجديد.

يستقر الأنصاريون في الأجزاء الغربية من جبل لبنان إلى سهول **أطاكية**، وصفهم لمارتين بكونهم محافظون لكنهم أكثر بربرية من غيرهم واستند في اصداره لهذا الحكم على الحادثة التاريخية التي تعود تفاصيلها الى سنة 0211م عندما توجه أحد أمراء هم الى بلدة "**مصيد**" لطلب التحالف مع حاكمها و ذكر اسمه " **الشيخ محمود**" وهي بلدة يعتقد سكانها بالمذهب "**الإسماعيلي**" وفي أحدى الأيام استغل الأنصاريون توجه سكان البلدة الى حقولهم فقاموا بالهجوم على أميرها فقتلوه كما قتلوا أيضا ابنه ، الأمر الذي جعل سكانها يفرون نحو حماة ، حمص وطرابلس طلبا للحماية . بينما أصبح الأنصاريون حسبما روى لمارتين مستغلون من طرف الدروز والموارنة. [51]

---

[50] V.O ;P 494-495.

[51] V.O ;P 495-496

وهكذا نكتشف مدى أهمية ما كتبه لمارتين عن القوميات المشكلة لمنطقة جبل لبنان خاصة من حيث التعريف بها وبمعتقداتها لكنه بالمقابل استغل اختلافاتها
المذهبية في اقناع القارئ الأوربي والفرنسي خاصة بفكرة غياب الشعور بالانتماء الى الوطن الواحد وهو الأمر الذي يسهل مهمة الحكومات الأوربية للتدخل في المنطقة من منطلق حماية هذه الأقليات والتي يعتبرها جزءا من القوميات الأوربية المسيحية ومن ثمة تخليصها من حالة الجمود والتخلف لأنها تمتلك ارادة العمل وارادة التغيير
مثلما وصف سابقا المتاولة والدروز وهي الأكثر عددا، أي بإمكان الأوربيين الاعتماد أكثر على هؤلاء .

2-بيروت المدينة كما وصفها لمسارتين:

بمجرد ما حط لمارتين رحاله بمدينة بيروت بدأ في وصفه لها خاصة مظاهر الحياة الاجتماعية اذ أنها أول المجتمعات الشرقية التي يتعرف عليها هذا الرحالة الفرنسي بالرغم من أنه سمع وقرأ الكثير عنها.

أول ما تحدّث عنه **لمارتين** في بيروت كانت المنازل اذ وصف طابعها العمراني المتشابه وقد لمس ذلك من خلال المنازل الخمس التي استأجرها حتى يستقر فيها هو وأسرته وكذا أصدقاءه و مرافقيه في الرحلة أثناء تواجده في الشتام ، وهي
تبعد عن المدينة بمسافة عشر دقائق ، تحتوي تلك البيوت على أقبية يقول أنها كانت تستغل كمطابخ بالإضافة الى غرفة واسعة بإمكان الجميع أن ينام فيها لكن أهمّ جزء فيها هو السطح أين تجلس النساء برفقة أطفالها للعب أو التمشيط شعرهن أو لتقاسم أطراف الحديث أو ارتشاف القهوة وأنواع أخرى من المشروبات ، كما أنها تحتوي على غرفة استقبال تكون مفتوحة على ما يستمى بـ "الديوان" في شكل قاعة اجتماع
وتحوف بالمكان أزهار بكل الأشكال والألوان، كما تحاط هذه المنازل دوماً ببساتين التوت و البرتقال ، و بالقرب منها يشيد سكانها فرناً من التراب أين يطهى الطعام.

أما عن الأشغال التي تؤديها النسوة في هذه المناطق الريفية فتحدث لمارتين عن تنظيفهن للباس أو حياكة الحرير أو تغذية الدواجن ليشتبه هذه الأجواء بمثيلاتها في الريف الفرنسي مع كل صبيحة أحد.

بينما الوضع مختلف تماماً بالنسبة للمنازل في المدينة أين يستقر الأتراك أو الأغنياء من المجتمع وهم في الغالبية كبار التجار بالإضافة الى المنازل أو القصور التي يمتلكها السفراء و القناصل الأوربيون ، وهي مؤلفة من طابقين يصل بينهما سلم من الخشب الرفيع ، تكون مداخل البيوت العربية في المدينة ضيقة و مظلمة تفتح

على الشارع بأبواب قصيرة هذه المداخل تؤدي إلى فناء داخلي من الرخام يحاط بعدد من الدواوين أو قاعات الاستقبال وعندما يفصل الحر يقيم بها ساكنيها شبه خيمة ، في وسط الفناء توجد فثورة مياه تتدفق مياها وهي تحدث أصواتا متناغمة جميلة بالإضافة الى البئر الذي غالبا ما يكون في زاوية الفناء يمكن هذا الفناء أيضا من

العبور الى عدد من الغرف الواسعة مزخرفة بأشكال مختلفة من الفسيفساء أو الرخام المنحوت، كما أشار لمارتين الى أن السلالم التي تصل بين الطابقين قد نقشت بأنامل

حرفيين مهرة أبدعوا في أعمالهم سيّما شبابيك الغرف التي تسمح للضوء و للهواء بأن ينفذا في الغرفة دون فتحها ، كما لا تسمح برؤية النساء من الخارج وعلى نفس الطراز كانت شبابيك المنازل في الشرق أينما توجهت . أما ما يتعلق بالأثاث فهو يعبّر عن المستوى الاجتماعي لصاحب البيت لكن ما سجله لمارتين هو أن العرب

وحتى الأتراك لم يهتموا كثيرا بهذا الجانب إذ اكتفوا بما يفيدهم في حياتهم اليومية

وكذا يساعدهم في استقبال الوافدين فغالبا ما تكون الدواوين مفروشة بأجمل الزرابي

(الفارسية أو الدمشقية)، مع بعض الوسادات الي يستند عليها سادة البيت أو الأرائك المنقوشة والمزينة ببعض الأحجار الكريمة أو الأصفاد البحرية. [52]

بينما الوضع مختلف تماماً بالنسبة للمنازل في المدينة أين يستقر الأتراك أو الأغنياء من المجتمع وهم في الغالبية كبار التجار بالإضافة الى المنازل أو القصور التي يمتلكها السفراء و القناصل الأوربيون، وهي مؤلفة من طابقين يصل بينهما سلم من الخشب الرفيع، تكون مداخل البيوت العربية في المدينة ضيقة و مظلمة تفتح على الشارع بأبواب قصيرة هذه المداخل تؤدي إلى فناء داخلي من الرخام يحاط بعدد من الدواوين أو قاعات الاستقبال وعندما يفصل الحر يقيم بها ساكنيها شبه خيمة، في وسط الفناء توجد فثورة مياه تتدفق مياها وهي تحدث أصواتا متناغمة جميلة بالإضافة الى البئر الذي غالبا ما يكون في زاوية الفناء يمكن هذا الفناء أيضا من العبور الى عدد من الغرف الواسعة مزخرفة بأشكال مختلفة من الفسيفساء أو الرخام المنحوت، كما أشار لمارتين الى أن السلالم التي تصل بين الطابقين قد نقشت بأنامل حرفيين مهرة أبدعوا في أعمالهم سيّما شبابيك الغرف التي تسمح للضوء و للهواء بأن ينفذا في الغرفة دون فتحها ، كما لا تسمح برؤية النساء من الخارج وعلى نفس الطراز كانت شبابيك المنازل في الشرق أينما توجهت.

أما ما يتعلق بالأثاث فهو يعبّر عن المستوى الاجتماعي لصاحب البيت لكن ما سجله لمارتين هو أن العرب وحتى الأتراك لم يهتموا كثيرا بهذا الجانب إذ اكتفوا بما يفيدهم في حياتهم اليومية وكذا يساعدهم في استقبال الوافدين فغالبا ما تكون الدواوين مفروشة بأجمل الزرابي (الفارسية أو الدمشقية)، مع بعض الوسادات الي

(52) V.O ;P 215-218.

يستند عليها سادة البيت أو الأرائك المنقوشة والمزينة ببعض الأحجار الكريمة أو الأصفاد البحرية.[53]

وهكذا ومن خلال ما نقله لمارتين عن مظاهر الحياة داخل المنازل في بيروت نتوصل الى اكتشاف حياة الهدوء والترف التي ينعم بها الأتراك والتجار في المدينة

بينما يعيش سكان الأرياف حياة بسيطة، بدائية يعتمدون فيها على ما تذره الأرض من خيرات. كما ضمت المدينة شرائح أخرى كانت تعيش حياة الفقر والبؤس فذكر **لمارتين** بعض "**اليهود**" الذين يتجولون في المدينة برفقة أطفالهم وهم يمتطون دوابهم.[54]

لنكتشف أيضا من خلال الرحلة المكانة الاجتماعية التي حضي بها العنصر الأوربي في بيروت سواء كانوا تجارا أو قناصل فقد منحوا الحق في امتلاك منازل بالمدينة هذا ما يفسر ارتفاع عدد الأوربيين المقيمين في بيروت من مختلف الجنسيات وقد أشار **لمارتين** الى ذلك من خلال حديثه عن استقباله لعدد كبير من التجار والسفراء في بيته " **دائما نفس الحياة أقضي اليوم اما في إجراء زيارات أو استقبال زوار من العرب والفرنسيين...**" [55]

كما أشار في نفس السياق الى استقبال عدد من مشايخ الدروز، رجال دين موارنة، نساء، أطفال جاءوا حتى من مناطق بعيدة من أجل رؤيته وفي نفس الوقت طلبا للعلاج خاصة وأن هؤلاء سمعوا عن مرافقة الطبيب "**دولرويار**" صديق لمارتين،

---

(53) V.O ; P 215-218.

(54) V.O ; P 203.

(55) Opcit ; P214-215.

مقابل ذلك كانوا يعرضون عليهم خدماتهم المختلفة ويدعونهم للزيارة ليلقبوا **لمارتين** بـ "**الأمير الإفرنجي**" وهو اللقب الذي ساعده كثيرا في استكماله للرحلة في الشام. (56)

فضلا عما سبق اهتم **لمارتين** بتفاصيل الحياة الاجتماعية من خلال سرده لتفاصيل متعلقة بعادات وطقوس سكان المدينة اثناء المناسبات السعيدة (الأفراح) إذ نقل للقارئ تفاصيل حفل زفاف ابنة أحد شيوخ المدينة ووجهائها والمدعو "**حبيب بربرة**" فأشار الى التقاليد الخاصة بحمّام العروس الذي يعد له ويعتنى به **25** يوماً قبل ذلك، وقد ساعدته في ذلك زوجته التي تم استدعاؤها للحفل برفقة ابنتهما، فنقلا اليه بدقة تلك الطقوس كما وصفا له **الحمام العربي** الذي يختلف عما هو سائد في أوربا بالإضافة الى ذلك نقل لمارتين تفاصيل حفل الزفاف فوصف مراسيم استقبال العروس، اللباس، الحلي، ما تم عرضه على المدعوين من مأكل ومشرب وحلويات، الموسيقى وحتى طريقة الرقص ، النظام المعتمد في الفصل بين النساء والرجال ... **وغيره.** (57)

في خضتم هذا الوصف المدقق يتمكن القارئ من التعرف أكثر على عادات المجتمعات الشرقية وعلى روح الجماعة التي تميزها فلا يمكن للفرد أن يعيش في عزلة عن مجتمعه بل وحتى الأوربيون فقد تمّ دمجهم بصورة عفوية داخل المجتمع فأصبح العديد منهم يفضل البقاء وعدم العودة الى الموطن الأصلي وقد التقى لمارتين بنماذج كثيرة عن هؤلاء. (58)

كما لمسنا انتشار ظاهرة الطبقية والتفاوت الاجتماعي بين مختلف شرائح المجتمع فالأتراك والتجار من العرب والأوربيون مثلوا أثرياء المجتمع، بينما انتشرت

(56) V.O ; P209-217

(57) Opcit ; P214-215.

(58) Opcit ; P207.

ظاهرة العبودية والرق من خلال اشارة لمارتين الى انتشار الخدم من النساء والرجال في منازل الأثرياء.

أما من الناحية الاقتصادية فلم يذكر لمارتين الأسواق في بيروت لكنه أشار الى حيوية مينائها الذي ترسو به السفن من مختلف الجنسيات حتى تنقل السلع والبضائع الأتية من بغداد ودمشق نحو تركيا أو العواصم الأوربية، فشكلت بذلك همزة وصل بين الشرق والغرب. (59)

- **الوضع السياسي في بيروت كما وصفه لمارتين:**

تزامنت رحلة **لمارتين** الى الشرق مع حروب "**محمد علي**" والي مصر على الشام والتي تولى قيادتها ابنه "**ابراهيم باشا** "هذا الأخير كان قد فرض سيطرته على بيروت وبقية المدن: **صيدا، يافا، عكا، طرابلس** تاركا وراءه حامية عسكرية وولاة يستدلون له الطاعة العمياء كما عبّر عن ذلك قائلا:" **هذا الجندي المسن من قوات الباشا المصري يكن لسيده وخاصة لإبراهيم الطاعة العمياء، وسرك هذه العلاقة هو العقيدة وليست المصلحة الشخصية ابراهيم باشا هو المصير الذي لابد منه، انه الإله بالنسبة لجنوده ...**" (60)

بعد ذلك تحدث عن موقف الدروز وبقية الشعوب المقيمة في جبل لبنان من دخول القوات المصرية الى بيروت اذ لم يقاوم هؤلاء **ابراهيم باشا** بل على العكس تماما اذ تحالفوا معه ضد الأتراك ووضعوا تحت تصرفه قواتهم العسكرية تحت قيادة أميرهم "**البشير الشهابي**" ومنه ساعد هذا الموقف ابراهيم باشا كثيرا في تقدّم جيوشه بسرعة نحو سوريا وفلسطين، بالإضافة الى الموقف الأوربي فعلى غرار انكلترا وروسيا لم تعارض فرنسا هذه التوسعات بالرغم من أنها كانت تلعب دور

(59) V.O ; P191.

(60) Opcit ; P204-205.

الصديق بالنسبة للعثمانيين إلا أنها لم تحرك ساكنا، بل حاولت أن تستغل جيوش محمد علي لتحقيق بعض مخططاتها الاستعمارية في غرب المتوسط وهذا من خلال المفاوضات التي جرت بين رئيس وزرائها **"بولينياك" ومحمد علي باشا.** [61]

لكن فرنسا بمجرد ما تتوالى انتصارات **محمد علي** ستغيّر من موقفها وتبدأ في لعب دور الوساطة في التفاوض بين مصر والدولة العثمانية خاصة وأن **روسيا** استغلت الوضع في تحقيق أطماعها الاستعمارية في **البحر الأسود**، وثبت ذلك من خلال الرسالة التي بعثت بها الحكومة الفرنسية لقنصلها في مصر أثناء الحرب والتي جاء فيها: **"... لو أراد محمد علي أن يثبت انتصا ارته التي حققها، فلا بد له أن يكون حذ ارً معتدلا، بعبارة أخرى يجب عليه أن يدرك متى يتوقف ويستغل انتصاراته، إن الحكومة الفرنسية تنصحه بأن يسيطر على طموحاته ويقبل سوريا، ويبدأ في المفاوضات مع الباب العالي لإنهاء الحرب..."** [62]

ومن ثمة ندرك أهمية الرحلة من الناحية السياسية ونكتشف أن تواجد لمارتين في هذه الظروف الخاصة لم يكن مجرد صدفة وهو ما نوضحه في الفصل القادم من البحث.

1-فلـــــسطيـن: تجدر الإشارة هنا الى أنّ لمارتين اتّجه نحو فلسطين بعدما أنهى زيارته لجبال لبنان وبعد لقائه هناك مع الأميرة الإنجليزية **" ستانهوب "** والّتي جعلت من جبال لبنان موطنا لها وقد خصّص لمارتين جزءا كاملا لقصّة هذه الأرستقراطية الإنجليزية الّتي تركت حياة القصور والتّرف لتعيش حياة الهدوء والبساطة فتقرّب لمارتين منها ونقل الى القارئ تفاصيل حياتها وفلسفتها تجّاه الغرب والشّرق على حدّ سواء، بالإضافة الى الزّيارة الّتي أجراها أيضا لأمير **الدّروز** هناك **"البشير الشّهابي".**

---

[61] محمد السار البدري، المواجهة المصرية الأوربية في عهد محمد علي. دار الشروق، ط0، القاهرة.8112. [62] نفس المرجع، ص 011.

من بيروت شدّ لمارتين الرّحال باتّجاه **صيدا** والّتي وصفها قائلا: **" لم يبق من المدينة بعد تحطّمها سوى ظلّها ... لا أثر لعظمتها الماضية ... لم أر بشاطئها إلّا بعض الصّيادين برفقة أطفالهم، يدفعون بقواربهم الصّ غيرة القديمة ..."**

بعد ذلك تحدّث لمارتين عن وجود **خان** كان يمتلكه أحد الفرنسيين بالمدينة، فكان مكانا يقيم به التّجار الفرنسيون والأوربيون أثناء مكوثهم بالمدينة، لكنّه ونتيجة الحرب الأخيرة بين الأتراك وابراهيم باشا لم يبق من المكان شيئا من ذلك النّشاط " **...لم تبق هناك لا التّجارة ولا الفرنسيين، لم يبق بهذا الخان الكبير سوى ذلك الموّظف المحترم جيرودان ..."** (63)

من **صيدا** انتقل لمارتين نحو مدينة **صور** وهناك ستتوقف القافلة عند مكان يعرف بـ **" القنطرة"** وهي عين تقع أيضا بالقرب من البحر، محاطة بأشجار كثيرة وحدائق تمتّد الى غاية البحر، أعجب لمارتين بالمكان فأخذ في وصفه مستخدما دائما أسلوبه الأدبي الجميل. (64)

أما بالنسبة لصور فهي البلدة الواقعة في أعلى تل خصب، محصورة ما بين البحر والجبال لكنها تمتد أكثر ناحية البحر في شكل شبه جزيرة، وهي لم تسلم أيضاً من الخراب والتمار اذ أنها شكلت محطة من محطات الحرب، وقد أشار لمارتين لذلك من خلال حديثه عن ركود الحركة ما عدا بعض قوافل الجمال التي تمر بالمدينة من حين لأخر، كما أن هناك مئات المنازل التي هجرها سكانها لتتحول الى

ملاجئ للرعاة يجتمعون بها كل مساء قصد المبيت فيها، فوصف المنظر قائلا: **"كان أمامي لبنان الأسود، لقد خذلتني مخيلتي..."** (65)

(63) V.O ;P 283.

(64) V.O ;P 283.

(65) V.O ; P 285.

بعد مشاعر الحسرة التي انتابت **لمارتين** عاد مرة أخرى لوصف كل ما شاهده من مناظر وأماكن مر منها، فتحدّث عن المكان المعروف بـ "**أبار سليمان** "والذي سبق وأن زاره غيره من الرحالة كما أشار هو الى ذلك، وهو عبارة عن ثلاث خزانات كبرى للمياه النابعة من قمم الجبال، مختلفة الأعماق ليتزود سكان المدينة بالمياه العذبة عبر قنوات تمتد لبعض الأمتار في شكل متناسق، جميل، منها ما هو قديم
ومنها ما جدّد، كما أعطى لمارتين للقارئ الخلفية التاريخية للمكان.[66]

بعد منطقة "**آبار سليمان** " توجهت القافلة نحو مرتفع يعرف بـ" ال أرس **الأبيض**" وهو الجبل الذي يفصل بين **صور وعكا**، في سفح ذلك الجبل تحدث لمارتين عن وجود خان كان له نفس مصير الخانات السابقة التي تم ذكرها وقد تواجد هذا الخان بالقرب من عين للمياه العذبة كما تواجد بالمكان فلاح بائس كان يعتمد في كسب رزقه على تلك الأرض التي زرعها ببعض أشجار التين والخضر، بالإضافة
الى بعض قوافل الجمالين المتوجهة من نابلس نحو سوريا لتزويد جيوش ابراهيم بالقمح.[67]

- **عكا كما وصفها لمسارتين** : كان وصول **لمارتين** إليها في الحادي عشر من أكتوبر سنة 0248 م، لكنه لم يركز كثيرا على وصف طبيعة المنطقة بقدر تركيزه على وضعها السياسي و الأمني سيّما بعد الحصار الذي ضربه ابراهيم باشا على المدينة بهدف السيطرة عليها و التخلص من حاكمها فكادت أن تتحول الى أنقاض مدينة فيصف الوضع قائلا: "**حوالي عشرة آلاف الى اثني عشر ألف من القتلى الذين اختلطت أجسادهم بجثث الاف الإبل ، بالرغم من ذلك ابراهيم يحاول أن**

(66) Opcit ; P287.

(67) Opcit; P 288- 289.

يعيد بناء أسوار و منازل المدينة ... كل يوم يتم جلب المئات من الضحايا من تلك الأنقاض ... تنتشر بالمكان روائح كريهة ...".

نظرا للوضع المأسوي الذي ميّز مدينة عكا فضل **لمارتين** ألا يبقى في المكان ليستأنف رحلته مباشرة نحو أرض **الكنعانيين** أي **الأرض المقدسة** كما دعاها و

هذا بعدما اجتاز تلا آخر تغطيه أشجار الزيتون وهكذا تراءت له المناظر الأولى للأرض التي طالما حلم بزيارتها، هذه المناظر التي تركت لديه انطباع أولي يختلف تماما عما نقله الرحالة الذين سبقوه فيقول: " **عندما شاهدت المناظر الأولى من الأرض المقدّسة كان شعو ار قويا، جميلا وعميقا، لم تكن الأرض القاحلة، الصخرية كما وصفها بعض الكتاب المنحازون أو بعض الرحالة الذين لم يمكثوا بالمكان وقتا كافيا ليروا المزارع الكبرى و المتنوعة ...**" (68)

- **الأ ارضي المقدّسة كما وصفها لمارتين:**

يعتبر هذا الجزء من الرحلة من أهمّ مراحلها خاصة وأن لمارتين حاول اقناع القارئ في البداية بأن الغرض الأساسي منها هو الحج الى الأراضي المقدسة التي لم يترك منها موقعا أو زاوية إلا ووصفه بدقة متناهية، خاصة إذا ما كان لهذا المكان دلالته التاريخية والدينية سيما ما ذكر في الكتاب المقدّس "**الإنجيل**".

- **من التضاريس التي ذكرها لمارتين:** السهول والتلال المحيطة بالمدينة منها "**تلة بطليموس**" التي تقابلها تلتي" **زابلون**" و"**الناصرة**" كما أشار الى "**جبل الكرمل**" الذي يجمع في أعاليه بين **صور وصيدا** ويمتد الى غاية "بحيرة طبريا" ومن "**جبل طابور**" إلى "**جبال سامرة**" **ونابلس**، ونجد **لمارتين** يدقق في وصفه لطبيعة هذه المناطق ذات الأراضي الخصبة التي نمت بها أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة كأشجار التين و الزيتون، وكذا أصناف أخرى ذكر أسماء

(68) V.O; P290.

بعضها والبعض الأخر لم يتعرف عليها، ثم أشار الى وجود أرض زراعية بين تلك المرتفعات الصخرية وهي كما وصفها لا تكاد تتوقف عن العطاء ومن بين المحاصيل التي تنتجها: القمح، الشعير والذرة. (69)

لم يتمالك لمارتين نفسه في ابدائه لإعجابه الكبير بالمنطقة خاصة طبيعتها المتميزة بجبالها وسهولها ومناخها لكنه في نفس الوقت يتأسف عن سياسة اللامبالاة التي يسلكها
حسب رأيه العثمانيون ما يتطلب وجود ارادة حقيقية للنهوض بها وهي لا تتوفر لدى سكان الأرض ومن الممكن جدا أن تكون هذه الإرادة لدى شعوب جديدة كـــ" **اليهود**" مثلا.

كانت هي الفكرة التي حاول **لمارتين** تمريرها لدى القارئ عند ما قال: " **بلد كهذا، يعاد تعميره بقومية جديدة هي اليهود، سيزرع ويسقى بسواعد ذكية... بمناخه يستطيع هذا البلد أن ينتج كل المحاصيل من قصب السكر الى الموز ... أرض الميعاد هل ستمنحها العناية الإلهية الأمة المناسبة والسياسة المستقرة والحرية؟**" (70)

استمر **لمارتين** في ذكر كل ما تلمحه عيناه من مناظر أو مواقع أثرية أو دينية فبعدما وصف تلال "**زابلون**" و "**الناصرة**" ذكر بلدة " **سيفورة** " وهي بلدة رومانية قديمة تستقر على منطقة جبلية، تحيط بها أشجار الزيتون والرّمان. (71)

كما حاول أن ينقل بعض مظاهر الحياة الاجتماعية من خلال تجمع نساء البلدة بالقرب من احدى العيون فوصف هذه اللوحة الجمالية بكل دقة خاصة وأنهن كانت مكشوفات الوجه وهو الفرق الذي سجله **لمارتين** بين النساء في الشّرق.

(69) V.O; P290- 294.

(70) Opcit; P 295.

(71) Opcit; P 296.

ثم انتقل إلى مدينة "**الناصرة**" وهي كما ذكر من أهم المدن التاريخية التي احتضنت المسيح بل يسود لديه الاعتقاد بأن **المسيح** ولد بها على عكس ما هو سائد لدى العامة والمؤرخين أي مولده بـــ "**بيت لحم** " وهنا أطلق العنان لمشاعره الدينية. (72)

كما تحتضن المدينة " **الكنيسة اليونانية**" و"**الدير اللاتيني** " وهي من أقدم المعالم المسيحية في فلسطين الى جانبها يوجد" **الجامع**" الذي بناه الأتراك المتميز بصومعته العالية، فكانت الصورة تعبر بوضوح عن التجانس والانسجام بين شعوب هذه المدينة مسيحيين ومسلمين، كما أنها مثالا حيّا لسياسة التسامح الديني في المشرق العربي والتي لم يستطع **لمارتين** تجاوزها فقال: **"لقد قمنا بزيارة أكبر الأديرة والذي يشبه تلك الموجودة في فرنسا وايطاليا أين الآباء اللاتينيين يؤدون معتقداتهم ومراسيمهم المسيحية بكل حرية وحماية تماما كما لو كانوا في أحد شوارع روما عاصمة المسيحية..."**

ومن الأمور التي شدّت انتباه **لمارتين** أيضاً في مدينة " **الناصرة**" هو عدد المسيحيين المقيمين بها والذي بلغ كما قال حوالي **711** الى **311** مسيحي كاثوليكي، **1111** يوناني أرثوذكسي، بعض الموارنة وألف مسلم. (73)

بعد بلدة الناصرة توجه **لمارتين** نحو "**جبل طابور**" الذي أقام فيه "**الفديس جيروم** "**الكنيسة الرومانية**" نظرا لموقعه الذي يسمح بالعزلة، وقد أقيمت به سلالم حتى يتمكن الحجاج من بلوغ قمة الجبل واقامة الصلاة بالكنيسة بينما يتميّز سفح الجبل بسهوله الخصبة.

ليس بالبعيد عن " **جبل طابور**" تحدّث **لمارتين** عن أهمّ الأنهار في الشرق كله وهو النهر الذي يتصل **بالبحر الميت** و" **بحيرة طبريا**" والذي يحمل الكثير من الدّلالات بالنسبة

(72) V.O; P297-300.

(73) Opcit; P 300-304.

للمسيحيين والمسلمين على حدّ سواء وهو " **نهر الأردن** " الذي أعجب الرحالة الفرنسي فوصف مجراه ومياهه، كما أشار الى وجود بعض القبائل العربية المقيمة على ضفتّيه.

لينهي الجزء الخاص بالمواقع التي اكتشفها قبل المدينة المقدّسة بوصفه **لبحيرة طبريا** هذه البحيرة المقدّسة التي أثارت لديه مشاعر روحانية سافر من خلالها الى الزمن الأول، زمن النبوة، ثم انتقل لمارتين إلى "بلدة طبريا" التي يؤرخ لها كما ذكر بألفي سنة وهي تقع على ربوة من الصخر الأسود مطلة على البحيرة، تحيط بها أسوارها العالية التي أخذت الشكل المربع. وكان الحمام المعدني التركي " **إيماوس**" من بين المحطات التي توقف عندها **لمارتين**، لكن من أهم الملاحظات التي تمكنا من استخلاصها هو إقامة العناصر اليهودية ببلدة طبريا وهم من جنسيات بولونية أو ألمانية. (74)

المحطة الموالية كانت " **بلدة قنا**" وهي كما أشار **لمارتين** من تشييد الأتراك وتمتاز بوفرة مياهها وخصوبة أراضيها فانتشرت بها زراعة الأشجار المثمرة. (75)

بعد **قنا** توّجه لمارتين نحو الصّحراء السّورية، وأثناء ذلك تعرّف على الموقع الأثري **نكروبوليس** أو ما يعرف أيضا **بمدينة الأموات** وهي مدينة قديمة قام سكانها في الزّمن البعيد بنحت منازلهم بين الصّخور والجبال، يستّقر بالقرب منها العرب البدو الرّحل وقدّر لمارتين عددهم بحوالي مائتي أو ثلاثمائة رجل برفقة اسرهم، لم يفوّت الشّاعر الفرنسي فرصة التّقرب منهم كي يتمكّن من التّعرف أكثر على هؤلاء البدو وأساليب عيشهم ليكتشف لمارتين أنّهم لازالوا متمسكّين بالنّظام القبلي القائم على التّرابط المتين بين أفراد القبيلة الّتي يتّولى شؤونها ورئاستها " **شيخ القبيلة**" فروى أنّه عندما رغب في زيارة المدينة الأثرية القديمة أمر الشيّخ

(74) V.O; P304-316.

(75) Opcit ;P 316-317.

بتأمين الطرّيق للقافلة الأجنبية وهذا من حسن الكرم والخلق الّذي يمتاز به العرب البدو منذ القديم كما أكدّ ذلك **لمارتين** نفسه. [76]

ثمّ انتقل الى وصف المدينة الأثرية الّتي لا تزال تحافظ على العديد من معالمها كـ: " **المعبد هيرود**" و"**برج ستراسون** " القديم والّذي قام القدّيس "**سان لويس**" بتجديده ما بين **(2151-2152)** وقام ببناء خمسة عشر برجا لتحصينه وحمايته [77] بعدما تمكّن لمارتين من عبور نهر "**البتراء**" تقدّم واقترب أكثر من بلدة "**يـافـا**"، وهي من أقدم المدن بفلسطين خاصّة وأنّها ذات موقع جغرافي يجعلها تصل بين البحر وبين التّلال والسّهول الدّاخلية وهي كما وصفها كثيرة السّهول الّتي تنتشر بها الأشجار المثمرة كأشجار الرّمان والحمضيات والتّين بالإضافة الى أشجار الصّنوبر و حتّى النّخيل، وسبب ذلك هو وفرة المياه وتدّفقها وهذا ما أشار إليه **لمارتين** من خلال ذكره لانتشار العيون عبر شوارع المدينة وأزّقتها وهي مزّينة بالخزف والفسيفساء على الطّراز العثماني المنتشر آنذاك بالشّرق كلّه. [78]

كانت يافا من المحطّات المميّزة في الرّحلة، إذ استقبل بها لمارتين استقبالا شبه رسميا خاصّة وأنّ حاكمها كان قد تلّقى مكتوبا من ابراهيم باشا يخبره بوصول قافلة أوربية بها رحّالة فرنسيين، كما حضي لمارتين باستقبال من القنصل الفرنسي وعائلته المقيمة هناك، وتحدّث أيضا عن اللّقاء الّذي جمعه مع القس الّذي كان يشرف على الدّير بالمدينة كما حاول أن ينقل للقارئ جزءا من تاريخ **يافا** خاصّة أثناء الحروب الصّليبية وأثناء حروب نابليون.

---

(76) V.O ;P 341-345.

(77) Opcit ;P346- 347.

(78) Opcit.P 350-352.

وككّل مرّة لم يتجاهل الرّحالة الجانب الاجتماعي للمدينة فذكر أسماء جميع القوميات المقيمة بها منها:

العرب، الأتراك، الأرمن، الموارنة، اليونانيون (الأرثوذكس)، الأوربيون (الكاثوليك)،

كما قام بإحصاء عدد السكّان وقدّره بحوالي خمسة أو ستّة آلاف نسمة لكن أهمّ ما سجلّه لمارتين بخصوص أحوال معيشة السكّان هو انتشار البؤس والفقر وانتشار واسع لوباء الطّاعون بفعل الحروب. (79)

بعد **يافا** كانت المحطّة الموالية هي **ارم الله**، وهي بلدة واقعة شمال غرب **القدس** وهنا أشار الرّحالة الفرنسي الى انتشار عدد كبير من الأديرة المسيحية منها **الدير اللاّتيني** الّذي أسّسه الأب **"فليب لبون"** كما أشار الى تحوّل عدد كبير من الكنائس الى مساجد بعد الحروب الصلّيبية، وتحدّث أيضا عن **ضريح** لأحد الأمراء المملوكيين والّذين فرّوا من **مصر** الى **ارم الله** وهو" **أيّوب باي**" حدث هذا أثناء حروب نابليون، أمّا اجتماعيا فالوضع شبيها تماما بيافا إذ انتشر بها أيضا وباء الطّاعون. (80)

- **القدس كما وصفه لمارتين:** كانت سهول المدينة وتلالها المحيطة بها هي أول ما تحدّث عنه لمارتين، بالإضافة الى أسوارها ذات الأبواب الثلاثة وهي: **"باب بيت لحم" "باب دمشق"** و **"باب سانت ايتيان "** الذي يؤدي الى **" ضريح سليمان"** و **"مسجد عمر"** بينما تتخلل هذه المواقع مساحات من أشجار الزيتون والتي تؤدي عبر بعض المسالك الى ضريح **" العذراء مريم "** أم المسيح. (81)

كما أشار لمارتين الى مكان يعرف بـ **"باب سيون"** وهو مكان مرتفع يمكن من رؤية المدينة من أعلى كما أنه يحتوي على المسالك المؤدية الى البحر الميت.

---

(79) V.O ;P375- 36.

(80) V.O ;P 361-363.

(81) V.O;P378-384.

بعد ذلك عاد **لمارتين** مجدّدا لوصف "**مسجد الصخرة** "أو المعروف أيضا بـ "**مسجد عمر**" وهذا من حيث طابعه العمراني، الزخارف المستعملة، المساحات المحيطة به.

أما المدينة فيقول **لمارتين** أنها تختلف عن بقية المدن التي شاهدها طيلة حياته، فبالرغم من الموت الذي يخيم بسمائها الا أنها تحافظ على بريقها الذي تستمده من هذه المقدّسات.

وقبل أن يبلغ **لمارتين** " **كنيسة المهد**" ببيت لحم تحدّث عن "**ضريح داوود**" وعن زيارته للدير اللاتيني القديم أين وجد أبوابه موصدة تخوفاً من انتشار الداء.

ليتمكن أخيرا من دخول "كنيسة المهد" والتي وصفها بدقة متناهية معبّرا في كل مرة عن المشاعر القوية التي تنتابه وهو يجول بداخل الكنيسة. [82]

بعدما أنهى **المارتين** زيارته **للمدينة المقدّسة** غادرها من نفس الطريق الذي سلكه من قبله "**شاتوبريان**" وهذا حتى يتحقق من المعلومات التي ذكرها هذا الأخير في كتابه " **المسار من باريس الى القدس** " اذ لمسنا في العديد من المرات انتقاده لهذا الأخير.

كان طريق العودة الى بيروت عبر السهول المحاذية **لنهر الأردن** والتي قادته نحو مناطق جبلية معقدّة وهي جبال رجح **لمارتين** أن تكون ذات أصل بركاني، بالقرب من المكان وجد نفسه أمام منطقة "جرش" التي يتمركز بها قبائل العرب البدو وهي تتصل من جهة بـ"**صحراء البقعة**" ومن جهة أخرى **بالبحر الميت** كما أنها منطقة عبور لمختلف القوافل التجارية خاصة الآتية من القدس نحو دمشق أو من الأردن نحو مصر. [83]

- **البحر الميت كما وصفه لمارتين:**

وصفه قائلا:" **هذا البحر الجميل المتلألئ، إنه يترك لدى ناظره مشاعر عميقة بعمقه، وكبيرة كبر الصحراء التي يملأها، إنه يسلب النظر، يدهش التفكير بالرغم من أنه**

---

(82) Opcit ;P 385- 398.

(83) V.O;P 407- 412.

منعدم الحركة والصوت ..."، لم يكتف **لمارتين** بهذا الوصف الشاعري للبحر الميت بل حاول أن يقدّم للقارئ ما يعلمه من تفسيرات علمية لهذه الظاهرة الجيولوجية وهذا دليل آخر على اطلاعه الجيد على الشرق من الناحيتين التاريخية والجغرافية. (84)

بعد البحر الميت أخذ طريق العودة الى بيروت عبر الطريق الساحلي بدل طريق العريش أي عبر الأراضي المصرية وهذا نزولا عند رغبة زوجته وابنته.

8-ســـــــــوريا (دمشـــق):

كانت رحلة لمارتين إلى سوريا في المرحلة الثّانية بعدما تمكّن من العودة الى بيروت، ليقرّر المغادرة نحو **بعلبك** المدينة الأثرية ثمّ العاصمة **دمشق** وهذا ابتداء **من13** مارس **2388.**

- **دمــشق كم وصفها لمارتين:**

وصفها بالمدينة القديمة ولكنّها تمتلك المؤهلات والإمكانيات الّتي لا تتوّفر عليها مدن أخرى، خاصّة موقعها الجغرافي الجيّد ومناخها الجميل والمناسب الأمر الّذي جعل منها أهمّ مراكز العبور التّجارية في الشّرق، فقال عنها **لمارتين: "مادامت هناك إمب ارطوريات على وجه الأرض فإنّ دمشق ستكون دائما من المدن الكبرى ..."** (85)

كما قام لمارتين بعملية إحصاء لسكّان دمشق وقدّرهم بحوالي مائتي الى أربعمائة نسمة، وأشار بخصوص ذلك الى غياب الأرقام الرّسمية وأورد احتمال وصول العدد الى المليون ساكنة، من جهة أخرى أشار لمارتين الى تعدّد الأجناس والقوميات داخل دمشق والّتي تتعايش مع بعضها البعض في إطار احترام الحرّيّات الشّخصية والدّينية.

(84) Opcit; P 423-424.

(85) V.O ; P608-609.

- **أحيـــــاء المدينة:**

اهتم كثيرا لمارتين في وصفه لمدينة دمشق بوصف أحيائها وحاراتها وكذا الخانات المنتشرة بها والأسواق، ومن الأحياء الّتي تجوّل بها ووصفها:

- **الحـــــيّ الأرمني:** ذكره لمارتين بالحّي الفقير والّذي تنعدم فيه النّظافة، أزّقته ضيّقة ومظلمة منازله مبنيّة من التّراب، كلّ ما فيه يوحي بحياة الفقر والبؤس، لكن بالمقابل فهو حيّ هادئ. (86)

- أشار لمارتين إلى حي آخر وهو يختلف في ظاهره عن الأول إذ يقيم به **أغوات** دمشق ووجهاؤها واستطاع وصفه من خلال زيارته لإحدى المنازل التي انبهر بجمالها ورقي الذوق المعماري والفني لدى مالكيها، كما أن سكان هذا الحي كان أغلبهم الأتراك أو أكبر التجار الدمشقيين الذين نعموا بحياة الرخاء والترف فهؤلاء هم: **"أبناء الباشوات الأتراك الذين استغلوا نفوذ أباءهم للحصول على ملكيات كبيرة في البلدات المجاورة لدمشق (الريفي)..."** (87)

- **الأسواق في دمشق:** فعلا كانت دمشق نموذجا حي للمدينة التي لا تعرف أسواقها الهدوء خاصة **"سوق دمشق الكبير"** الواقع بوسط المدينة، الذي كان ملتقى القوافل التجارية سواء كانت هذه القوافل من بلاد الشام أو كانت من الحجاز أو حتى من بلاد الفرس والهند لذا عمرت أسواقها بمختلف أنواع السلع كما ارتاد عليها كل طبقات وشرائح المجتمع ففيها: الأغنياء من الأغوات، الخدم والعبيد، عرب الشتام (البدو)، وحتى عناصر من القوات المصرية.

تميزت هذه الأسواق بتنظيمها لعرض السلع من خلال اعتماد أزقة خاصة بسلع معينة فتعرف بسوق (كذا) أي تستمى باسم السلع المعروضة فيها منها: **سوق الأسلحة**،

(86) V.O ;P 591-596.

(87) V.O; P 595-596.

سوق الحلي، سوق الخضر والفواكه ...الخ وفي نفس الوقت تم تخصيص الأزقة لحرف معينة وكان أكثرها انتشارا: **حرفتي صناعة الأسلحة والصناديق الخشبية.** (88)

- **الخانات الدّمشقية:** تعتبر الخانات من أهمّ ما يميز المدن الشرقية وبخاصة بلاد الشتام، وهي عبارة عن مراكز تخصص لاستقبال الأجانب سواء كانوا تجارا أو كانوا رحالة أي هي بمثابة الفنادق حاليا، انتشرت الخانات في الشام خاصة في العهد العثماني بما في ذلك العاصمة السورية " دمشق" التي تواجد

أكبر الخانات وأجملها وبالذات يتمركز هذا الخان وسط، دمشق إنه "**خان أسعد باشا**"، أعجب لمارتين كثيرا بالخان فوصفه "**به قبة تضاهي قبة كنيسة" سانت بيار "بروما، ترفعها أعمدة غرانيتية من خلف هذه الأعمدة توجد محلات كما توجد سلالم تؤدي الى طوابق عليا أين تكون الغرف المخصصة للتجار الذين يقومون باستئجارها بالمقابل هنالك ح ارس يسهرون ليل نهار من أجل تأمين الخان، كما يحتوي الخان على اسطبلات للحيوانات التي ترافق التجار بالإضافة الى العيون التي تبعث على الانتعاش ... كأنه بورصة دمشق ... باب الخان يطل مباشرة على السوق ... بني الخان على طراز العمارة العربية وهذا منذ أربعين سنة ...**". (89)

- **الوضع الأمني والسياسي في دمشق:**

في البداية أشار لمارتين الى الصراع القائم ما بين الأرمن (المسيحيين) و ابراهيم باشا و توصل الى ذلك من خلال حفاوة الاستقبال التي حضي بها من قبلهم ،إذ اعتقدوا أنه مبعوث سياسي جاء ليبلغ عن سوء المعاملة و سوء المعيشة التي يعانون منها ، وهكذا أصبحت هذه القومية تبحث عن الدّعم الأوربي خاصة وأن لمارتين شعر بأن هؤلاء

(88) Opcit ;P 597- 601.

(89) V.O;P 602.

يحضرون لحركة تمرد ضد ابراهيم باشا، كما ان الأمر لم يكن يقتصر فقط على المسيحيين بل حتى المسلمين من سكان دمشق إذ كان يلتقي البعض منهم في المساجد من أجل التخطيط للتمرد، وهذا ما يفسر حسب لمارتين انتشار أفراد الجيش المصري عبر شوارع المدينة وأسواقها. (90)

بالإضافة الى ما سبق أشار **لمارتين** الى قيادة الفرق العسكرية المصرية التي أسندها ابراهيم باشا الى" **شريف باي**" والذي يساعده في تأدية مهامه "**المجلس الاستشاري**" ويتألف هذا المجلس من كبار التجار العرب والأوربيين وذكر **لمارتين** أن "**شريف باي**" في تلك الأثناء كان قد غادر دمشق في مراسيم رسمية استدعي لمارتين لحضورها لكن الأهم من كل ذلك هو سبب المغادرة والمتمثل في انتصار جيوش محمد علي في "**قونية** ". (91)

وفي هذا الشتان أمدنا **لمارتين** بتفاصيل ومعلومات هامة تخص الوضع السياسي في بلاد الشتام خلال هذه الفترة سنتطرق اليها لاحقا عندما نبرز القيمة التاريخية والسياسية للرحلة.

1-لمارتين في تركيا:

بعدما استكمل **لمارتين** رحلته في الشام، توجه نحو تركيا عبر رحلة بحرية مر من خلالها بسواحل "**حيفا**" والجزر اليونانية ليكون الإنزال بمدينة "**ازمير**" يوم **8** ماي **2388**م والتي قضى بها ثلاثة أيام تجول عبر أرجائها ونقل للقارئ انطباعاته وملاحظاته عن المدينة.

- **ازمير كما وصفها لمارتين:** كان أول انطباعات لمارتين عن مدينة" أزمير" أنها تشبه الى حدّ كبير المدن الساحلية الأوربية في عمرانها وحركتها التجارية النشطة

(90) Opcit ;P598- 599 .

(91) V.O ; P 601-602.

اذ ترسو بمينائها السفن من مختلف الجنسيات فعبّر عن هذه الصورة قائلا: " لم **أجد فيهاما يوحي بأنها مدينة شرقية، بل كأنها مرسيليا في سواحل آسيا الصغرى، واسعة وجميلة تعج بالقناصل والتجار الأوربيون الذين ... منظر المدينة أجمل من أعلى المرتفعات الغنية بأشجار الصنوبر وعند النزول منها تجد نهر ميلاس..."** (92)

بعد ازمير كانت وجهة **لمارتين** الموالية **"مضيق الدردنيل"** كي يتمكن من مدينة **"اسطنبول"** فوصف المضيق قائلا: **"شاهدت سلسلة من الهضاب المنبسطة والتي شيدت بها القصور بأسوارها البيضاء ذات البروج والفتحات المخصصة للمدافع، المضيق يمتد في المكان في شكل نهر جميل ينحصر بين الضفتين الأوربية والآسيوية ... تكاد القصور المتشابهة أن تملأ المضيق، لكن من الممكن أن تقوم السفن بالإنزال على سواحله التي يسيطر عليها الروس.** (93)

كما ذكر لمارتين كلّ ما شاهده من مناظر أثناء عبوره للمضيق، فأشار الى **"جزر الأمراء"** وكذا انتشار المنازل والقصور المشيّدة على سواحل وأطراف المضيق وذكر منها **"قصر البروج السّبعة"** كما تحدّث عن الانتشار الواسع للمساجد الّتي تبدوا نمن خلال مآذنها الشّامخة وصومعاتها الضّخمة والتّي تكاد تغطّي أكبر جزء من مشهد المدينة **اسطمبول** المترامية والمنقسمة بين القارتين: **آسيا شرقا وأورباغربا يفصل بينهما هذا المضيق الاستراتيجي " البوسفور"**(94)

- **اســـطمبول كما وصفها لمـــارتين:**

قال عنها: "إنّ جمالها هو الّذي جعل منها العاصمة والمدينة الّتي يتّخلى من أجلها الأباطرة والملوك عن أعظم المدن كروما ونابولي ...إنّها عاصمة العالم

---

(92) V.O;P671-672.

(93) Opcit ;P 677-678.

(94) V.O ;P 678- 680.

القابعة بأوربا وآسيا ... إنّ كلّ الأمم الغازية اليوم تتنافس الواحدة تلوى الأخرى من أجل السّيطرة عليها، هي رمز النّفوذ والمكانة العالمية، إنّها المدينة الملكة كما وصفها فعلا العديد من الفنّانين والشّع ارء..." (95)

اهتّم لمارتين بكلّ تفاصيل المدينة مهما كانت تبدو بسيطة من العمران، الطّبيعة، السّكان بالإضافة الى تاريخها وأوضاعها السّياسية السّائدة آنذاك.

- **الطّـــبيعة في اسطمبول:** أهمّ ملاحظة سجلّها لمارتين بخصوص الطّبيعة هناك هي الانتشار الكبير للحدائق والبساتين المحيطة بالقصور والمنازل وحتّى القلاع وهي تحتضن بداخلها شتّى أنواع الزّهور والأشجار بالإضافة الى الغابات الكثيفة الّتي تكاد أن تغطّي كلّ الهضاب المتواجدة بأعلى المدينة. (96)

كما أشار لمارتين الى وفرة المياه من خلال ينابيع المياه العذبة التي تمتد عبر قنوات الى مختلف الحدائق بالإضافة الى العيون المنتشرة عبر أزقة المدينة وأحيائها. (97)

ومن خلال الملاحظات التي صرح بها الرحالة الفرنسي اكتشفنا أن الطبيعة في الجزء الأسيوي كانت أكثر جمالا وعذرية من الجزء الأوربي الذي تتمركز به جل المدن والموانئ إذ قال بهذا الشأن: **"أنا على مقربة من الحاقة الأسيوية التي أراها أجمل بكثير من الحاقة الأوربية، الطبيعة هنا على أحسن ما ي ارم، لا وجود هنا لبيوكديري ولا لتيرابيا لا وجود القصور السفراء والمدن الأرمنية أو الإفرنجية ... لا يوجد هنا سوى الجبال والمضائق التي تفصل بينها، مسالك وسط مروج خضراء، أودية، غابات تمتد الى غاية الخلجان الكثيرة التي تشكل هذا الجزء..."** (98)

---

(95) Opcit ;P678.

(96) Opcit ;P682.

(97) V.O;P684

(98) Opcit ;P 721.

- **العمران والسكان:** أول ما أشار اليه لمارتين بخصوص العمران في مدينة اسطنبول هو أن المدينة تشكلت من عدّة أحياء وبلدات كان أغلبها يقع في الضفة الأوربية المطلة خاصة على "**البحر الأسود**" كما أن المدينة أقيمت على مجموعة من التلال أو الهضاب التي يزيد علوها كلما ابتعدت أكثر عن الساحل وقد أشار **لمارتين** الى سبعة منها. (99)

ومن بين البلدات التي شكلت مدينة "اسطنبول" ذكر **لمارتين:** بلدة " **غلاطة**" وهي عبارة عن حي ذو طابع تجاري تقطن به أغلبية أوربية، تتميز ببرجها الذي شيّد من قبل الجنويين (الايطاليين) سنة **2813م**، وأيضا بلدة "**بييرا**" في الجهة المقابلة والتي كانت في الأصل حي القناصل والسفراء، والبلدتين يشكلان اليوم مدينة " **بيوغلو**" كما ذكر أيضا مدن "**سكوتاري**" و"**بيوك ديري**" و"**طرابية**" (100)

أما عن الطابع العمراني فهو يختلف من حي الأخر ومن بلدة لأخرى ويخضع الأمر الى المكانة الاقتصادية والاجتماعية لمالكي المنازل اذ امتلك التجار والباشوات بيوتا فخمة في شكل قلاع وقصور وبأحياء خاصة، بينما يقيم العامة من الناس في أحياء وصفها لمارتين بالفقيرة، كما استقر القناصل والسفراء الأجانب في أحياء خاصة بهم.

وفي هذا الإطار تمكن **لمارتين** من خلال تجواله بالمدينة من وصف أحياء ها من حيث شكل المنازل والأزقة والأسواق "**سوق بييرا**"، بالمقابل ذكر أسماء كل القصور الموجودة في اسطنبول ووصفها بدقة متناهية خاصة تلك التي تمكن من زيارتها منها: القصر السلطاني، **قصر البايلربيات، قصر الدراويش، قصر السلطان محمد الثاني، قصر الحريم،**

(99) Opcit ;P 683.

(100) V.O; P(683-687),(705-707),(719-721).

قصر بايزيد، وفي كل مرة كان يذكر القص، كان يحدّد موقعه، يصف عمرانه، حدائقه، كما يعطي نبذة عن تاريخه. [101]

الى جانب القصور اهتم لمارتين بالمساجد في **اسطنبول** إذ أنها من العناصر العمرانية الأساسية المشكلة للمدينة وهذا ما يعكس أيضاً اهتمام سلاطين الدولة عبر العصور بالصلاة كعبادة تميّز المسلمين عن غيرهم وكذا مكانة الذين الاسلامي لديهم، ومن أهم هذه المساجد وأكبرها "**أياصوفيا** " والذي كان في الأصل كنيسة أرثوذكسية حولها السلطان "**محمد الثاني**" سنة **2158م** الى مسجد مع الحفاظ على السمات العامة التي تميزه كما روى لمارتين تفاصيل الحادثة التاريخية المرتبطة بهذا المعلم الحضاري. [102]

لم يكتف **لمارتين** بذكر مسجد " **أياصوفيا** " وانما أحصى جميع المساجد في المدينة فذكر: **مسجد السلطان أحمد (المسجد الأزرق)، مسجد بايزيد، مسجد سليمان، مسجد سنان باشا، مسجد الأمراء (الشاهزاد)، مسجد السلطان سليم.** [103]

كما أشار **لمارتين** الى آثار الحريق الذي لم يكن قد مضى عليه وقت طويل، هذا الحريق الذي طال بعض أجزاء المدينة في جوان **2311م** نتيجة اصدار السلطان "**محمود الثاني**" الأمر بقصف عناصر الإنكشارية الذين تم تجميعهم في "**ساحة أت ميداني**" نظرا لتفاقم عصيانهم للسلطان مما أثر على بهاء المدينة وجمالها. [104]

---

(101) Opcit; P695-702-707- (715-717),(722-723),(732-743)(745-746).

(102) V.O ; P697-698.

(103) Opcit; P 708.

(104) Opcit ;P 703.

- **الواقع السياسي في اسطنبول كما وصفه لمارتين:**

الأمر الملفت للانتباه هو أن تواجد لمارتين في تركيا تزامن مع أحداث سياسية مهمة جذا بالنسبة للدولة العثمانية خاصة في عهد السلطان "**محمود الثاني**"(**2731-2381**)، الذي غرف عهده بالإصلاحات الكبرى سيّما " **حادثة آت ميداني**" و تخلص هذا الأخير من **الجيش الانكشاري** صانع انتصارات الدولة العثمانية عبر أربعة قرون على التوالي لينقلب ذلك على الدولة فيتحول الى سبب من أسباب انكساراتها وهزائمها وعلى يد أحدث الجيوش (**الجيش المصري**)، الأمر الذي ساعد هذه الأخيرة على تهديدها للعاصمة العثمانية0244م، بل ولولا التدخل الأوربي لوضع حذ لتلك التوسعات النجح محمد علي في تأسيس "**الامب ارطورية العربية**".

كما أن **لمارتين** اهتم بشكل واضح بتاريخ الدولة العثمانية واتضح ذلك من خلال تتبعه لمسار سلاطين الدولة من أولهم "**عثمان**" والوصيّة التي توجه بها لابنه "**أرخان**" إلى غاية اعتلاء "**محمود الثاني**" العرش، كما تطرق الى مختلف الفتن والصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة من أجل السيطرة على الحكم وتدخل الإنكشارية في الأمر فضلا عن تدخل زوجات السلاطين في شؤون الدولة الأمر الذي دفع البعض منهم الى ارتكاب جرائم حتى في حق أفراد الأسرة المقربين "**الأبناء**" [105]

لم يكتف لمارتين بسرد هذه الأحداث وانما التعليق عليها واصدار الأحكام التي تتناسب ورؤيته للأمور وهذا تجسيدا للأهداف الحقيقية للرحلة فمثلا وجدناه يعلق عن تدخل الإنكشارية في الحكم قائلا: " **هنا انتهت أيام المجد في الامب ارطورية العثمانية...**" [106]

---

[105] V.0;P 696-704.

[106] V.O; P701.

ثم يضيف " السلطان أصبح في عزلة كما لم يحدث ذلك من قبل A& أمراء الدولة ... انه يريد التجديد لكنه لا يملك الإمكانيات بقدر ما يملك الارادة، إن وقت ت ارجع وتقهقر الدولة قد حان، انها شبيهة الآن بالإمب ارطورية الاغريقية..." (107)

كما تحدّث لمارتين عن سيطرة "روسيا" على البحر الأسود و مضائقه وبعض مدنه إثر آخر الحروب (**2713- 2771**) وهذا من خلال تواجد عدد من سفنها الحربية في مضيق البوسفور كما أن لمارتين استغل تواجده في تركيا للقاء القنصلين الروسي والنمساوي كي يناقش معهما الأحداث السائدة آنذاك حتى يتمكن عن قرب من تحليل الموقفين في ظل تراجع الموقف الفرنسي والانكليزي، وفي نفس السياق أورد لمارتين جزء من الرسالة التي وجهها الامبراطور الروسي "**نيكولا**" لقائد البحرية " **الأميرال أورلوف**" يذكره فيها بمهامه في القسطنطينية ليعلق لمارتين عن الأمر قائلا :"**... روسيا أصبحت تعرف على أنها حامية الدولة العثمانية، هذه الحماية المخجلة من عدو لعبد ثائر باستمرار... إن حياة الامب ارطورية أصبحت مرتبطة بحياة محمود الثاني ...**" (108)

(107) Opcit ;P 704.

(108) Opcit ;P738.

الفصل الرّابـــع

القيـمة التّــاريخية و السّياسية للرّحلة

1- القيــمة التّـــــــاريخية للرّحلة

2- القــيـمة السّيــاسية للرّحلـــة

الفصل الرابع: القيمة التاريخية والسّياسية للرّحلة

1- قيـــــمتها التّـــــــاريــخية:

تبّين لنا من خلال اطلّاعنا على **رحلة لمارتين** إلى الشّرق، أنّ هذه الرّحلة لم تكن مجرّد رحلة عادية الهدف منها زيارة واكتشاف منطقة الشّرق وأراضيه وجمالية المكان ، كما تبيّن لنا أيضا أنّها لم تكن بدوافع دينية كما صرّح **لمارتين** في العديد من المرّات ،ولو كان لذلك جزء من الصحّة، لكن لم يكن ذلك ما يشكلّ الدّافع الرّئيسي منها ، فالأمر أعمق من ذلك بكثير إنّ هذه الرّحلة ماهي إلّ حلقة من سلسلة الرّحلات الأوربية الستكشافية الّتي باشر فيه الغرب و خاصّة **فرنسا** خلال القرن **11م** مع نّمو النّشاط الستعماري لهذا البلد ،والّذي باشرت فرنسا في تجسيده ابتدا "ء من **1381** واحتلالها للجزائر، وعليه فإنّ **رحلة لمارتين** تصّب في هذه الخانة ، خانة **الاستش ارق الفرنسي** والأوربي الّذي بدا أنّه يسعى كما سبق ذكره إلى تصحيح مفاهيمه تجاه الشّرق لكن ليس هذا فحسب فالهدف أيضا هو تكوين المعرفة الجيّدة بالشّرق حتّى تسهل السّيطرة عليه كما سبق وذكر ذلك المفكّر **ادوارد سعيد**، وعليه توّصلت من خلال دراستي **لرحلة لمارتين** أنّ الهدف السيّاسي هو أهّم هدف بالنّسبة له م ن خلال هذه الرّحلة و من ورائه **فرنسا** كوطن و كدولة أوروبية، فهو كما قال تحّرك بدافع المواطنة وأداء الواجب تّجاه الوطن.

كما تكمن قيمة الرّحلة من النّاحية التّاريخية في تحوّلها بالنّسبة للقارئ أو الباحث إلى مصدر **للمعرفة التّاريخية** والإحاطة بظروف **وأوضاع الشرّق** مع **مطلع القرن 11م**، خاصّة مع الضّعف الذّي عمّ جميع أقاليم **الدّولة العثمانية** وفقدان هذه الأخيرة لقدرتها على السّيطرة على شؤونها وشؤون أقاليمها، خاصة بعد **حروب "محمّد علي"** و **" إب ارهيم باشا"** في **الّشام والأناضول.**

ويؤكد ذلك عندما يُلقي **خطابه الأوّل** أمام **الجمعية العامة الفرنسية** بتاريخ **4 جانفي 1384** بعنوان: **" المسألة الشرقية "** فيقول: **"... إنّ كلّ ما أعرفه عن الشّرق أنّه يتهاوى**

(يتساقط)، إنّ تلك الإمب ارطورية التّي لطالما هدّدت المسيحية بأجمعها، لم يبق منها إلّا الظلّ، إلّا الاسم، إلّا العاصمة. [1]

ويؤكّد لمارتين هذه المعلومات في "**الملّخص السيّاسي**" الوارد في كتاب الرّحلة فقال:

"... الإمب ارطورية العثمانية لم يبق منها إلّا الاسم، حياتها انطفأت، هي لا تزن شيئا، ما هي الآن سوى مساحة شاغرة ...لا تؤيّدو شبح الدّولة العثمانية ..." [2]

ضف إلى ذلك فقد ساهمت الرّحلة في تزويد القارئ بالمعرفة التّي يحتاجها خاصّة ما يتعلّق بالجوانب **الاجتماعية** و**الثّقافية** الخاصّة بالمجتمعات الشرقية خاّصة في" **بلاد الشام**"، وقد وُفق **لمارتين** أّيما توفيق في هذا المجال، فوصفُه **للمجتمعات الشّرقية** كان بالدّقة المتناهية التّي تجعلك تعيش تفاصيل هذه الرّحلة وكأنّك إلى جوار **لمارتين** سيّما ما تعلّق بتفاصيل الحياة اليومية لشعوب الشّرق **والطّبقات الاجتماعية** المركّبة لها، **الطوائف، المعتقدات، مكانة المرأة في المجتمع، العادات والتقاليد** ... ثّم العمل على استغلال هذه المادّة المعرفية الخام من قبل دوائر القرار السّياسي والعسكري في تحقيق **أطماع استشراقية، استعمارية** خاصّة ما تعلّق بالتعّدد الطّائفي والديني و في هذا يقول **لمارتين** :

"... الأتراك في المجموع لا يتعدّى عددهم في هذه المنطقة الواسعة والجميلة 81 أو 41 ألف ، بينما يشكّل : الدّروز والمتاولة والموارنة القبائل المستقّلة والشجاعة الشّعوب الغالبة والسيّدة وهي في حقيقة الأمر تشكّل نواةً حقيقيّة لتأسيس أوطان مستقلّة في الّشام ..." [3]

وفيما يتعلّق دائما بالقيمة التّاريخية للرّحلة فإنها تبرز أيضا من خلال **الأساليب والمنهجية** المستخدمة في تسجيل **لمارتين** لملاحظاته وانطباعاتهُ مستعينا" في ذلك أوّل"

---

[1] **خطابات لمارتين " المسألة الشّرقية" (1384-1381)، الموقع الالكتروني: "الجمعية العامّة الفرنسية".**

[2] **Lamartine ;V.O .P 959.**

[3] **Opcit ;P 954.**

بالمعرفة السّابقة لمَواطن الشّرق ومجتمعاته وهذا يتّضح من خلال الكمّ الهائل من الكتب التّي رافقت **لمارتين** في الرّحلة والتّي ازد عددها عن **011** مؤلّف كلّها مختارة بعناية من كتب التّاريخ والشّعر والرّحلات. (4)

وهكذا فإنّ الشّرق لم يكن بالمكان المجهول بالنّسبة **للمارتين**، بل إنّ الرّحلة ما هي إلّ مفتاحا" يعيد للذاّكرة نشاطها، وكأنّه يتصّفح أوراقا من ماضيه الخاص وذاكرته المشتركة مع أبناء أمتّه الفرنسية، وعبّر عن هذه الفكرة قائلا: **"... لم ألتق أبداً مكانًا أو شيئاً أين أوّل نظرة له لم تكن بالنّسبة لي كذكرى..."** (5)

أضف إلى ذلك فقد استخدم **لمارتين** في وصفه للعديد من المواقع في الشّرق **أسلوب المقارنة** مع أماكن شبيهة لها أو تختلف عنها في أوربا أو فرنسا، وهذا ما يجّسد بقوّة فكرة **الانتماء للشرق:** الأرض الأولى للأسلاف والمقطع الآتي يبيّن ذلك: **".. إنّ شكل الأديرة في لبنان شبيه الى حدّ كبير بشكل البيوت الفاخرة وقصور الأثرياء في إقليم (فلورنس) و الّتي بنيت في العصور الوسطى."** (6)

وهكذا وانطلاقا ممّا سبق نكشف مكانة هذه الرّحلة وقيمتها بالنّسبة للمكتبة التّاريخية الفرنسية والأوروبية من جهة، وساهمت في التّأريخ لبلاد الشّرق في فترة حرجة من زاوية المستشرقين الفرنسيين من جهة أخرى.

(4) Lamartine ;V.o ;P 23.

(5) Opcit ;P407.

(6) Opcit ;P 103.

2- قيـــمتها السّياسيـــــــــة:

يتجلّى بوضوح أنّ **لمارتين** فضلا" عن كونه شاعر، فهو رجل سياسة إذ تقلّد منذ شبابه مناصب سياسية متعددّة خاصّة في مجال السّلك **الدبلوماسي** مكلّفا بشؤون فرنسا في **ايطاليا** في الفترة ما بين (**1328-1323م**) أضف إلى ذلك تقرّبه واحتكاكه بالطّبقة السّياسية والسّلطة ما أكسبه الخبرة في هذا المجال ولديه مشاعر النتماء الى القومية الفرنسية ، متأثّرا في ذلك بمختلف التّحولت السيّاسية التّي مرّ بها هذا البلد ، خاصة مع التّغيير الّذي حصل في السّلطة من الملكية إلى الجمهورية ثم عودة الملكية بعد **ثورة 1343م** ، بحكم كلّ ذلك كان لزاما" على **لمارتين** أن يكون له مساهمة في دفع وطنه نحو التّقدم مثلما كانت عليه بقيّة الأمم الأوروبية ، وأن يوجّه اهتمام الطّبقة السياسية في فرنسا نحو قضّية السّاعة آنذاك وهي **المسألة الخارجية** المعروفة **بالمسألة الشّرقية** والّتي اختارها كعنوان **لخطاباته السّياسية** أمام البرلمان.

وفعلا" يؤكّد **لمارتين** من خلال هذه الخطابات أهمّية الموضوع وجدّيته ويطرح رؤيته أمام هذه الهيئة التّشريعية ويحاول بإصرار أن يُقنع من خلالها بقيّة أعضاء الجمعية العامّة وحتى السلّطة من أجل أخذ اقتراحاته بجدّية كي تتمكّن فرنسا من مقاسمة أوروبا خاصّة انجلترا، روسيا والنّمسا في **مي ارث الرّجل المريض**.

وكانت خطّة **لمارتين** في طرح موضوع **"المسألة الشرقية "**طرحا ذكيّا اعتمد فيه على المعطيات التّي تحصّل عليها من الرّحلة بخصوص الوضع السيّاسي والعسكري إذ عرض بدقّة أمام الجمعية العامّة الوضع السياسي السّائد عبر مختلف أقاليم الدّولة العثمانية في المشرق، وحتّى في العاصمة **اسطنبول** بالإشارة إلى ضعف السّلطان **"محمود الثاني"** والى **غياب الجيش الإنكشاري** ونهايته.

ثم يطرح فكرة التّدخل الرّوسي في شؤون الدّولة العثمانية وسيطرتها على **المضائق** في **البحر الأسود** ويتوّجه بطرح العديد من الأسئلة أهمّها: **كيف تتصّرف فرنسا حيال ذلك؟ كيف بإمكانها أن تضع حدّاً للتوّسعات الروسية؟** كما يدعو من خلال خطاباته حول **المسألة الشرقية بريطانيا** إلى الّتحالف والتّعاون معاً" من أجل **حماية طريق تجارتها شبه القارة الهندية.** [7]

وبنفس الأسلوب تناول **لمارتين المسألة الشرقية** في **"الملّخص السياسي"** للرّحلة فكان الهدف هو تبيان مدى الضّعف الذي ميّز الدّولة العثمانية من جهة من جهة أخرى إقناع رجال السّلطة وأصحاب القرار **بفرنسا وانجلترا** بضرورة الّتدخل في المنطقة: **" ...في اليوم الذّي تسقط فيه الإمب ارطورية ويتناثر أجزاؤها الواحد تلوى الآخر في الشّمال وفي الوسط، حينها ما هو الق ارر الذّي ستتخذونه؟ ...الجميع يتخوف من عدم استفادته من هذه التّركة الثّمينة ..."** [8]

بعد ذلك يتقدّم **لمارتين** برؤيته واقتراحه بشأن هذه المسألة، إذ لم يكن يؤمن بفكرة المواجهة و الحرب بين الدّول الأوروبية، فهي ليست بحاجة الى ذلك ، كما أنّ هذه الأساليب أصبحت من الماضي فهي من الأساليب الوحشية والبربرية في نظره وهو يرفضها تماما و يتساءل عن البديل و يجيب : **"...أدعوكم الى إسقاط هذه الإمب ارطورية لكن استبدالها بالحضارة ، أتركوا المكان الى القومية ، إلى العادات والتقاليد ،الى الدّيانات...هذا ما على أوربا القيام به وأريد أن تكون الجمعية العامّة الفرنسية منبعاً أوّلًا لهذه الأفكار..."** [9]

---

[7] الخطاب الثّاني للمارتين حول "المسألة الشرقية" أمام الجمعية العامة .0881/10/8. الموقع اللكتروني: "الجمعية العامّة الفرنسية".

[8] Lamartine ; V.O ;P 959.

[9] المرجع السّابق.

كما يقترح لمارتين في هذا الصّدد تكافل جهود فرنسا بجهود انجلترا وترك الأمر للقرارات الّتي يتّم اتّخاذها بالإجماع الأوربي من خلال دعوته الى عقد مؤتمر يناقش هذه القضّية، ويواصل في نفس السّياق أنّه مع أسلوب الحماية الأوربية لأراضي الشّرق من منطلق أنّه من الأساليب الأكثر حضارة حسب ما صرّح به، ومن منطلق الشّعوب والقوميات المسيحية الّتي تنتظر المساعدة هناك.

فلا بدّ أن يكون هذا المبدأ الجديد للسّياسة الخارجية الأوربية، وهكذا ستستفيد كلّ أوربا من نتائج هذه السّياسة [10] وهو نفس المقترح الّذي ورد في **"الملّخص السّياسي"**.

وانطلاقا ممّا سلف ذكره نكتشف فعلا" أنّ هذه الرّحلة لم تكن أبدا للأغراض والأهداف التي أعلن عنها مسبقا" **لمارتين**، بل هي ذات أغراض **سياسية**، **استشراقيه** بحتة.

[10] المرجع السّابق .

الخـــــــــاتمة

الخـــــــــاتمة:

وفي ختام هذا العمل المتواضع سأحاول أن أطلعكم عن أ ˇهم الن ˇتائج ال ˇتي ت ˇوصلت اليها. لقد ساهم الاستشراق بشكل كبير في رسم وضبط العلاقات بيت ال ˇشرق والغرب وعلى فترة طويلة من ال ˇزمن بدأت مع بداية الإسلام وامت ˇدت إلى العصور الحديثة تأثرت في خ ˇضم ذلك بجملة المعطيات ال ˇسياسية، الإقتصادية والحضارية المحيطة بها.

كما كان لأدب ال ˇرحلة دوراً كبيراً في دفع الاستشراق نحو تحقيق المزيد من الن ˇتائج والمكاسب خا ˇصة خلال القرن الت ˇاسع عشر وال ˇذي عُرف بعصر" **النّهضة الاستشراقية**" فكان هذا الأسلوب الأدبي من بين أ ˇهم وسائله وآلياته.

إ ˇن الاستشراق لم يكن مج ˇرد فلسفة أو تيار فكري أو إيديولوجي بل هو ت ˇوجه عام في سياسة الغرب ت ˇجاه ال ˇشرق، وأسلوب من أساليبه مك ˇنته من فرض الهيمنة بمختلف مظاهرها: العسكرية، ال ˇسياسية، الاقتصادية والث ˇقافية ومك ˇن الغرب من جعل أراضي ال ˇشرق بخيراته وثرواته تحت ت ˇصرفه.

من جهة أخرى اكتشفت من خلال هذا البحث أ ˇن تداعيات الاستشراق وآثاره لا تزال الى ح ˇد ال ˇساعة بادية خا ˇصة على البلاد العربية والإسلامية وال ˇدليل على ذلك هو استمرار تبعية العديد من الأنظمة العربية لل ˇدول الأوربية حت ˇى وان كانت ت ˇدعي استقلالها.

ومن ال ˇنقاط ال ˇتي ت ˇوصلت اليها أيضا هي أ ˇن فرنسا س ˇخرت ك ˇل مواردها البشرية، الفكرية والما ˇدية من أجل أن تستعيد مكانتها ال ˇتي فقدتها في أوربا بعد حروب نابليون، وفي العالم بعدما فقدت مستعمراتها في أمريكا، فكان لزاما عليها تعويض هذه الخسائر ال ˇسياسية والاقتصادية بإيجاد مجالات جديدة للت ˇوسع والمكان الأكثر مناسبة في هذه المرحلة لتحقيق هذا الهدف هو

أراضي الـ"دولة العثمانية، وما لمارتين إلا" واحدا من أبناء فرنسا الـ"ذين كـ"رسوا حياتهم ووقتهم وأموالهم خدمة لمصلحة الوطن.

والأه"م من كـ"ل ذلك حسب وجهة نظري أ"نه بال"رغم من أ"ن الـ"دراسات الفكرية والفلسفية والتـ"اريخية تتحـ"دث اليوم عن فكرة نهاية عهد الاستشراق وأ"نه اندثر باندثار الاستعمار، كما أ"ن الغرب يسعى جاهدا من أجل إقناع العالم وخا "صة الـ"نخب المثـ"قفة وال "سياسية بما في ذلك في بلدان ال "شرق بأ"ن هذا أصبح من الماضي، فمن ال "سذاجة حقـ"ا أن نعتقد بسلامة الفكرة، فالغرب لم يتخلى يوما عن نظرته الاستعلائية تـ"جاه ال "شرق، فما الـ"ذي تغـ"ير إذن؟

- المـــــــــصادر و المـــــراجع :

1- المـــــــصادر:

- العـــــــــربية :

- ابراهيم بك الحليم : تاريخ الدّولة العثمانية (التّحفة الحليمية)، نّقحه و اعتنى به نجوى عبّاس، الطبعة1 ،مؤسّسة المختار ،القاهرة . 4002

- الجبرتي عبد الرّحمن : عجائب الآثار في التّراجم و الأخبار، تحقيق ابراهيم شمس الدّين، منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتاب العلمية ، بيروت .1991.

- الجبرتي عبد الرحمن : مظهر التّقديس بذهاب دولة الفرنسيس ، المحققين عبد الرّزاق عيسى و عماد أحمد هلال

،الجزأ1 ، ط1، العربي للنّشر و التّوزيع ، القاهرة . 1991 .

- الزّيات حبيب : خزائن الكتب في دمشق و ضواحيها ،مطابع ألف - باء، مطبعة المعارف ،بيروت، القاهرة . 1901.

- خوري شحادة و نكولا: ثورة الإنكشارية في بيت المقدس في عهد السّلطان محمود الثّاني ،مطبعة القدس .1945 .

- عارف العارف : المفصّل في تاريخ القدس ، القدس .1911

- عارف العارف : تاريخ قبّة الصّخرة المشرّفة و المسجد الأقصى المبارك ، القدس .1950.

- مؤلّف مجهول : مذّكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا ، تحقيق أحمد غسّان سبانو، دار قتيبة للطّباعة و النّشر ، دمشق . 4001.

- معلم نيكولا: تملّك جمهور الفرنسوية للأقطار العربية و البلاد المصرية ، حققه ياسين سويد ، الطّبعة1 ، دار الفرابي ، بيروت .1990.

- المــصادر الأجنبيــة :

- Alphonse de Lamartine ; Souvenirs ,impressions, pensées et paysages pendant un Voyage en Orient (1832-1833) ou Notes d'un voyageur ; Edition présentée ,établie et annotée par Sophie Basch . Gallimard ,2011.

- Anonyme ; Voyage en Orient per M Delaroière ; Journal historique et litéraire ; Liège ;T3,1836 .

- Autran Joseph ; Le départ pour l'Orient- Odé à M Alphonse de Lamartine , Marseille imprimerie d'Hippolite Bourquet,1932 .

- Bordeau Henry ; Lamartine dans Voyageurs d'Orient ;T2 ;Paris ;Plon ,1926

-Chateaubriand ; Itinéraire de Paris à Jérusalem(1811) ;Edition Jean Claude Borchet ; Paris ;Gallimard ,2005 .

- Correspondance d'Alphonse de Lamartine ;T1 et 2 (1830-1867) ;Textes réunis ,classés et annotés par Christian Croisille avec la collaboration de Marie- Renée Morin ;Paris Honoré Champion,2000 .

- Correspondance Lamartine – Virieu 1-2-3-4 (1808-1841) ;Textes réunis, classés et annotés par Marie Renie Morin ;Paris ;PHF,1987-1998.

- Henri Guillemin ; Connaissance de Lamartine ;Fribourg édition de la librairie de l'université,1942.

- Henri Guillemin ; Le Jocelyn de Lamartine ;Etude critique avec des documents inédit ;Paris,1936.

- Julia de Lamartine ; une enfance en Orient (1832) Ed de Marie Renie Morin ;Bulletin de Bibliophile ,n° 1,2009.

- Hammer Joseph ; Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine jusqu'à Nos jours ;18 Vol ;Paris(1835-1843).

- Lettres de Marianne de Lamartine à Cécile de Cessiat (1832-1850) ;Cahier d'études sur correspondances du 19ème siècle,1995.

- Michaud (J.F) et Poujoulot(M) ; Correspondances d'Orient (1830-1831) ;3vol ,1833.

- Nisard Désiré ; Réflexions sur le voyage en Orient de Lamartine ;Revue de Paris ;T16,1835.

- Scipion Marin ; Conduite de la France envers la Turquie ;Grimbert et Dorez Librairies ;Paris,1840

- Volney C.F .Chassebour ; Compte de voyage en Egypte et en Syrie ;Ed Jean Gaulmier ; Paris ,1959.

2- المـــــــــــراجع :

- العـــــــربية :

- أحمد ليلى عبد اللّطيف: تاريخ و مؤرّخي مصر والشّام إبّان العصر العثماني ، مكتبة الخانجي، القاهرة.1910.

- أحمد ابراهيم خليل : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (1511-1911)، الموصل.1911.

- أحمد طربين : تاريخ المشرق العربي المعاصر ، المطبعة الجديدة ، دمشق .1915-1911.

- ادوارد سعيد : الاستشراق ، المفاهيم الغربية للشّرق ، ترجمة محمّد عنّاني ، رؤية للنّشر والتّوزيع ، الطّبعة 1 ،القاهرة . 4001.

- أسعد أحمد صادق : حول النّظرة الاستشراقية لعصر محمّد علي ، دار الحداثة ، بيروت .د ت .

- اسماعيل أحمد ياغي : العالم العربي في التّاريخ الحديث ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرّياض .1991.

- ارينا بتروسيان : الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية ، تقديم ومراجعة قسم الدّراسات والنّشر، معهد الدّراسات الشّرقية و المجمّع العلمي الرّوسي ، دبي . 4001.

- اندريه ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، ترجمة لطيف فرج ، ط1 ، دار الفكر للدّراسات و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، باريس . 1991.

- الهام محمّد علي الدّهني : مصر في تاريخ الرّحالة و القناصل الفرنسيين خلال القرن19 ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب . 1994.

- برج عبد الرّحمن: دراسة في التّاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة . 1911.

- بيير رونوفان: تاريخ العلاقات الدّولية في القرن 19م(1115-1921)،تعريب جلال يحي، القاهرة. 1910.

- بيار جوردا : رحلة الأدباء الفرنسيين الى البلاد الإسلامية في القرن 19م ، ترجمة مي عبد الكريم وعلي بدر ، دار الأهالي ، دمشق. د ت .

- بسّام جاموس ولينا قطيفان : مواقع التّراث العالمي في سوريا ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ، دمشق . 4014.

- جرجي زيدان : مصر العثمانية ، ترجمة محمّد حرب ، دار الهلال ، مصر.1992.

- جب هاملتون وهارولد باون : المجتمع الإسلامي و الغرب ، ترجمة أحمد عبد الرّحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة.1910 .

- جميل سيار: العثمانيون و تكوين العرب الحديث ، ط1، بيروت .1919.

- جمال محمود حجر: القوى الكبرى و الشّرق الأوسط في القرنين 19و 40م ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . 1919.

- حجّار جوزيف: أوربا و مصير الشّرق العربي ،حرب الاستعمار على محمّد علي و النّهضة العربية، ترجمة بطرس الحلّاق و ماجد نعمة ، المؤسّسة العربية للدّراسات و النّشر ، بيروت. 1911.

-حسن حلّاق: التّاريخ الاجتماعي و الاقتصادي والسّياسي في بيروت وفي الولايات العثمانية في القرن19م، ج 1، سجلّات المحكمة الشّرعية، بيروت .د ت.

- رودي بارت : الدّراسات الغربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ ثيودور نولدكه) ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ،القاهرة .د ت.

- رفيق شاكر النتشه و اسماعيل أحمد ياغي ، عبد الفتّاح أبو علّيه: تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل للنّشر و التّوزيع، ط1، عمّان .1912.

- زكرياء أحمد وصفي: جولة أثرية في بعض البلاد الشّامية ، دار الفكر ، ط4 ، دمشق.1912.

- ساطع الحصري: البلاد العربية و الدّولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت .1910. - شكري محمّد فؤاد:

الحملة الفرنسية على مصر وظهور محمّد علي، القاهرة. 1922.

- شكري محمّد فؤاد: مصر في مطلع القرن 19م (1101-1111)، ج1، القاهرة. 1951.

- عبد الكريم رافق: بلاد الشّام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون، دمشق. 1911.

- عبد الكريم رافق: المشرق العربي في العهد العثماني، مطبعة الرّياض، دمشق. 1919.

- عبد العزيز جمال الدّين: صفحات من تاريخ مصر ،مكتبة مدبولي ، د ت.

- عبد الله محمّد الأمين: الاستشراق في السّيرة النّبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة .1991

- عيسى اسكندر المعلوف: تاريخ الأسر الشّرقية ، جبل لبنان (المتن- بعبدا- الشّوف) .د ت. - فتال هند و رفيق شكري: تاريخ المجتمع العربي الحديث و المعاصر، بيروت. 1911.

- فردريك المحامي : تاريخ الدّولة العثمانية ،دار الجيل ، بيروت . 1911.

- فوّاز طرابلسي: تاريخ لبنان الحديث من الإمارة الى اتّفاق الطّائف ،ط2، رياض الّريس للكتب والنّشر.4011.

- كمال الصّليبي: تاريخ لبنان الحديث، دار النّهر للنّشر، بيروت.1991.

- ليلى الصّباغ: المجتمع السّوري في مطلع العهد العثماني، وزارة الثّقافة السّورية، دمشق .د ت.

- ليلى الصّباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيّان ، دمشق.1914.

- لطفي فؤاد لطفي :التّاريخ العمراني لدمشق بين 1511و1911، منشورات الهيئة السّورية العّامة ، دمشق .4011.

- مازن صلاح المطبقاني : الاستشراق و الاتّجاهات الفكرية في التّاريخ الإسلامي ،مكتبة الملك فهد الوطنية، الرّياض .1995.

- ماكسيم رودنسون: الصّورة الغربية والدّراسات الغربية في تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزوت، ترجمة محمّد زهير السمهوري ،سلسلة غالم المعرفة، الكويت. 1911.

- محمّد عبد الستّار البدري: المواجهة المصرية-الأوربية في عهد محمّد علي، دار الشّروق،ط1،مصر. 4001.

- محمّد فيصل شيخاني: حمص عبر التّاريخ، مراجعة هشام سعيد الحلّاق، منشورات الهيئة السّورية العامّة ، دمشق. 4011.

- محمّد كامل حسين: طائفة الدّروز ،تاريخها و عقائدها ،دار المعارف، القاهرة. 1914.

- محمّد الدّعمي: الاستشراق ، الاستجابة الثّقافية الغربية للتّاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،بيروت .4001.

- محمود ثابت الشاّذلي: المسألة الشّرقية، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (1499-1941)، ط1، مكتبة وهبة ،القاهرة .1919.

- مصطفى السّباعي: الاستشراق و المستشرقون ما لهم وما عليهم ، المكتب الاسلامي ،ط4،بيروت . 1919.

- مصطفى خالدي و عمر فرّوخ: التّبشير والاستعمار في البلاد العربية ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت .1919.

- مصطفى مراد الدّباغ: بلادنا فلسطين، دار الطّليعة ، بيروت. 1915.

- نجيب العقيقي : المستشرقون (موسوعة في تراث العرب ،مع تراجم للمستشرقين منذ ألف عام حتّى اليوم) ، ط2 ، مصر. 1910.

- يلماز أوزوتونا: تاريخ الدّولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ،ج1،ج4،مؤسّسة فيصل للتّمويل ، اسطمبول.1911 .

- المـــــــراجع الأجنبية :

- Anamur Hassan ;Les traductions en turq de Lamartine ;Gertrude Durusoy ed ;Ege unniversitisi ;tiré ; Izmir,2004.

- Fam Lotfy ;Lamartine ,voyage en Orient ;Edition critique ;Nizet ;Paris,1959.

- Hadjar Joseph ;L'Europe et les destinées de Proche-Orient ;Ed Atlas ;Damas,1988.

- Michel Levallois et Sarga Moussa ; Lamartine et la question d'Orient , l'Orientalisme des Saint Simoniens ;Paris ;Maisonneuve et Larose,2006.

- Mouna Alsaid ;L'image de l'Orient chez quelques écrivains français ;Lamartine ,Barrès,Benoit ,naissance évolution et déclin d'un mythe orientaliste de l'ère colonial ;Thèse de Doctorat ;Université Lumière Lyon2 ,2009.

- Nicolas courtina ; Philosophie ,histoire et imaginaire dans le voyage en Orient de lamartine ;Honoré Champion ;Paris ,2003.

- Normand Daniel ; Islam and the west ;Revided Ed,1993.

- Rana Kabani; Imperial fictions, Europ's mythes of Orient; London Pandora, 1994.

- Sabri Mohamed; L'empire Egyptien sous Mohamed Ali et la question d'Orient(1818-1849);Paris,1983.

- Zina Frangi ; Maronites et Druzes au Liban, de la communauté à la ation ;ANRT,1988.

- Zouari Fawzia ; Alphonse de Lamartine de l'Orient révé à l'Orient vécu ; Accadémie de Macon,1999.

3- معـــاجم ، دوريــات و مقــالات :

- معـــاجم :

- الخطيب مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التّاريخية، ط1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1991.

-الشّيخ الإمام شهاب الدّين ياقوت الحموي: معجم البلدان ، تحقيق عبد العزيز الكتاب العلمية، الجندي، دار بيروت .د ت.

-المعجم الوسيط: الجزء 1، مجمّع اللّغة العربية،القاهرة .د ت.

- خير الدّين الزركلي: قاموس تراجم للأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت .د ت.

- صبانا سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التّاريخية ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرّياض.4000.

- عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ،ط1، دار العلم للملايين ،بيروت.1991. -علي ميلود سلوى: قاموس مصطلحات ،وثائق وأرشيف ،دار الثّقافة للطّباعة والنشر،القاهرة.1914 .

- محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط ، ط2 ، تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة ،بيروت.1992.

- مـــــــقالات و دوريات :

- بكر عبد الوّهاب:" ملاحظات حول الحياة الاقتصادية في ولاية مصر خلال القرنين 11و19م"،المجلّة التّاريخية المغربية ، العدد11-19 ،تونس.1915.

- دائرة المعارف الإسلامية: الجزء 11، ط4، القاهرة.1919.

- عبد المنعم ابراهيم الجميعي: " مظهر التّقديس بزوال دولة الفرنسيس " كمصدر لدراسة تاريخ الحملة الفرنسية على مصر ، المجلّة التّاريخية المصرية ، الجمعية المصرية للدّراسات التاريخية ،مجلد 20،القاهرة. 1991-1999.

- محّمد بن عبد الرّحمن برج: " سياسة بونابارت الإسلامية"، المجلّة التّاريخية المصرية، المجلّد20،القاهرة.91-99 .

- جريدة الشّرق الأوسط : " رحلات فرنسية الى بلدان عربية "، العدد 1111، 4004.

- جريدة الثّورة: "جاذبية الاستشراق الفرنسي " لفيصل خرتش ، مؤسسة الوحدة للصّحافة والطّباعة و النّشر .4011.

- موقع منتديات الالكتروني: "قصر لمارتين شاهد على الرّحلة الى أرض الأحلام" ،مروة الكردية . 4009.

- مؤيد عبّاس : " حضور الشّرق في الأدب الفرنسي" ،قسم اللّغة الفرنسية ،كليّة الآداب الموصل .د ت.

الملاحق

ملاحق الصور

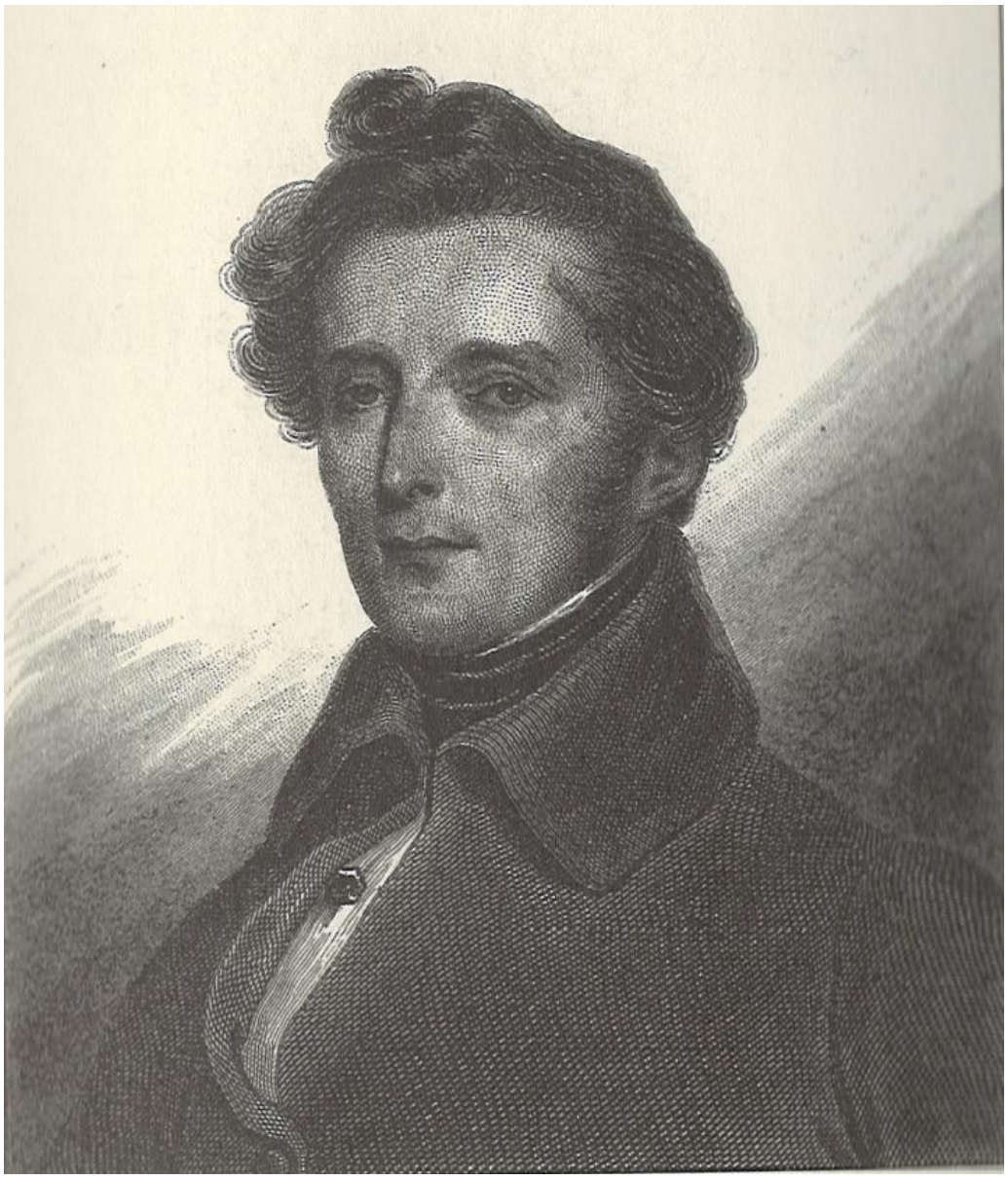

ملحق رقم (1): صورة ألفونس دو لمارتين

ملحق رقم (2): قصر الحكومة-بيروت-القرن التاسع عشر

ملحق رقم (3): دير القمر عاصمة أمير الدروز فخر الدين وفي الخلف بيت الدين وهو قصر بشير الأول

ملحق رقم (4): المسرح الروماني القديم –سوريا-

ملحق رقم (5): المدينة الّرومانية القديمة سوريا

ملحق رقم(6): كاتدرائية سانت هيلينا البيزنطية –سوريا-

ملحق رقم (7): القلعة القديمة –حلب-

ملحق رقم (8): الأسواق الشعبية الّدمشقية القرن التاسع عشر

ملحق رقم (9): النافورة للمياه بأحد الأسواق الدّمشقية القرن التاسع عشر

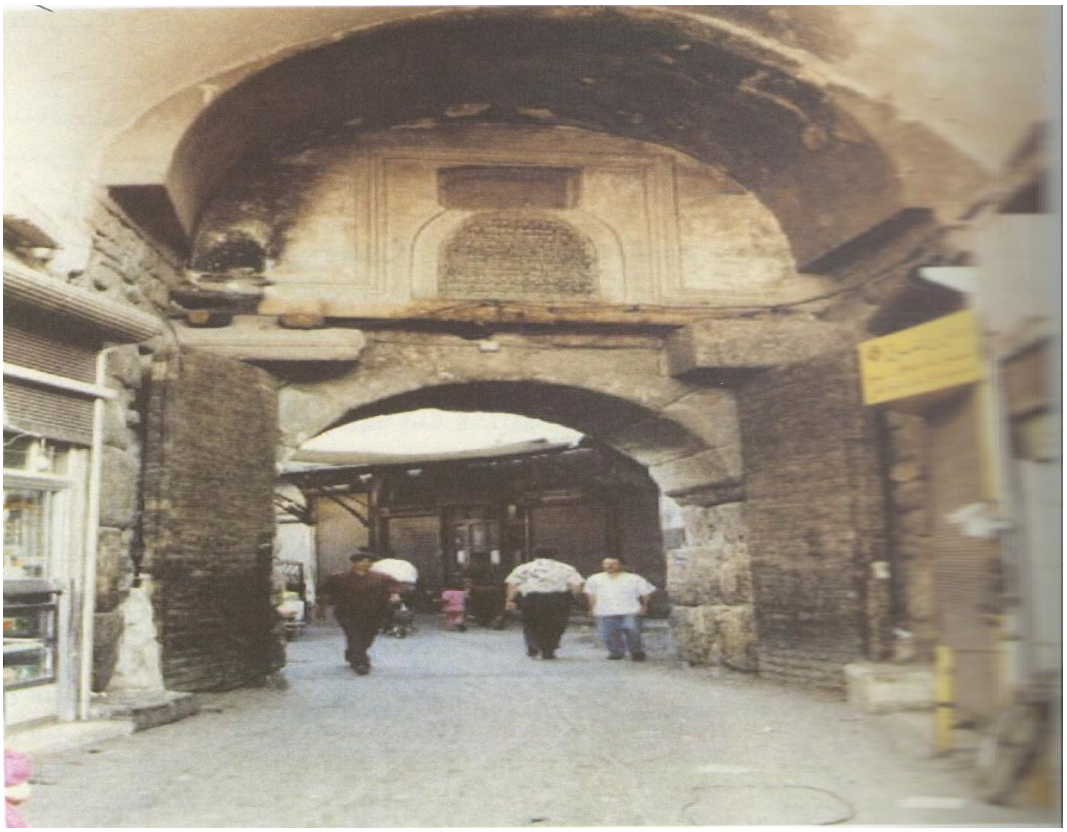

ملحق رقم (11): أحد أبواب الحا ارت بدمشق القديمة

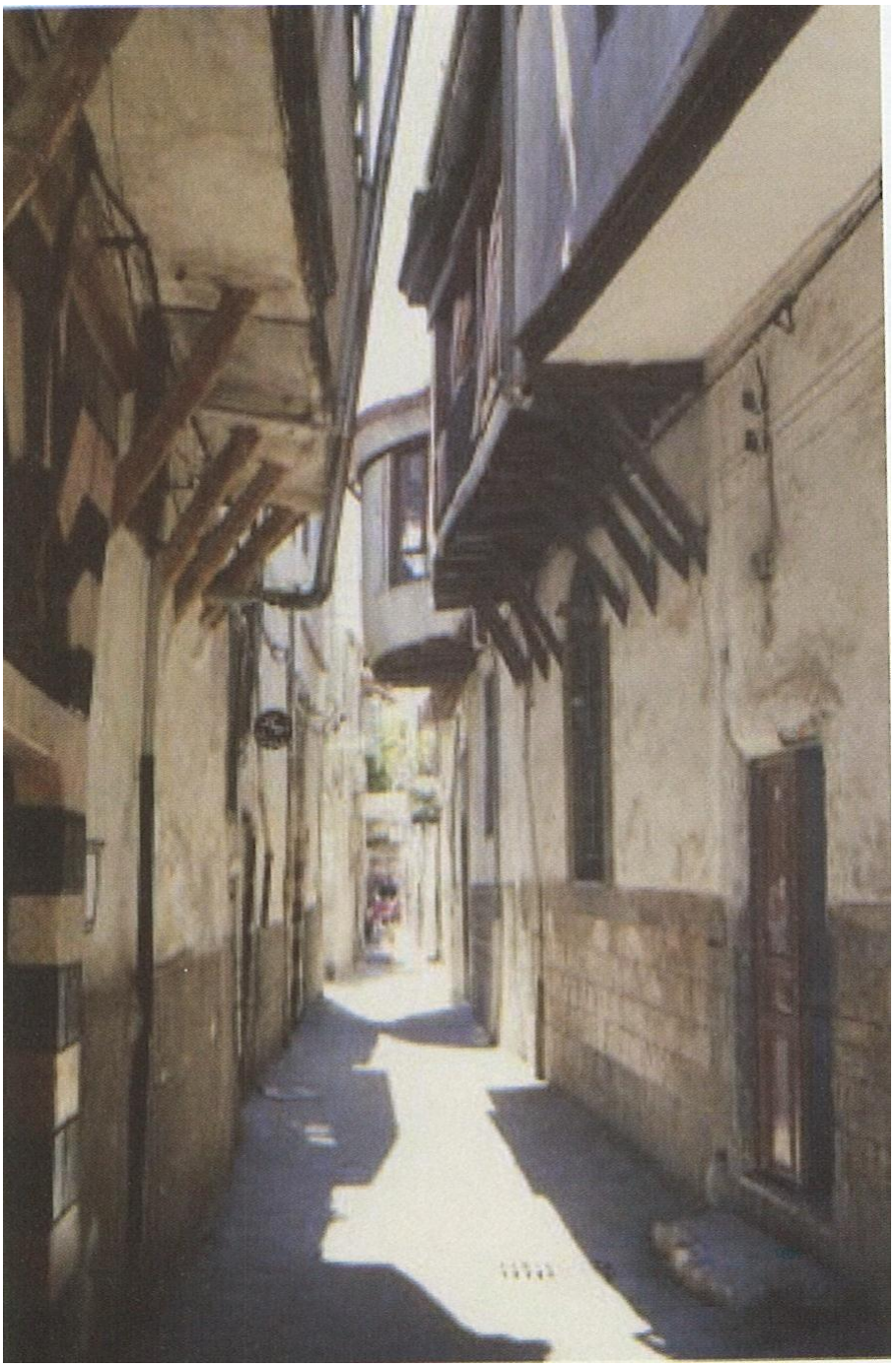

ملحق رقم (11): الأزقة في الحا ارت الدمشقية القديمة

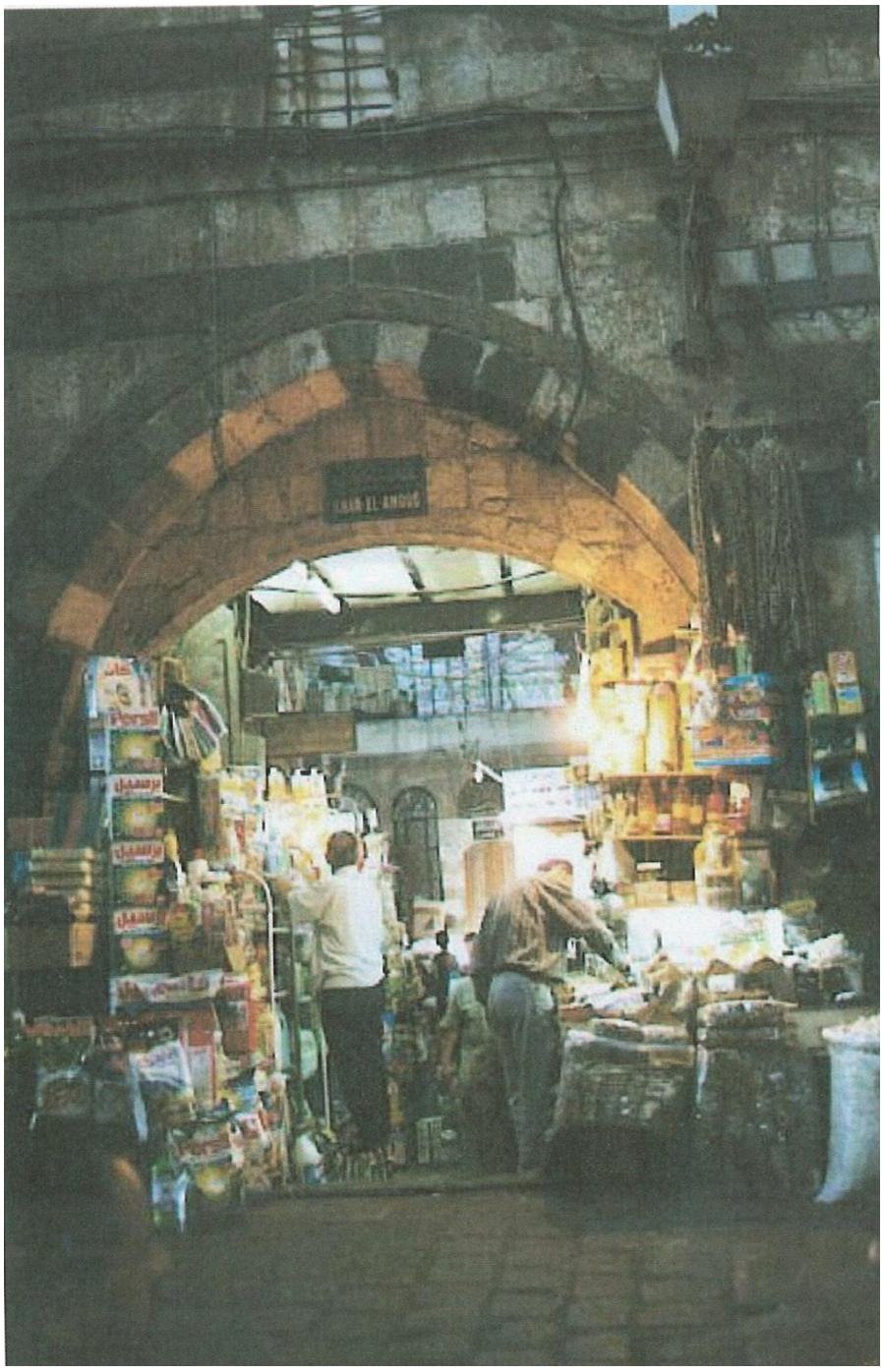

ملحق رقم (12): خان العمود المقابل لخان أسعد باشا

ملحق رقم (13): جزء من قصر أسعد باشا الأعظم

ملحق رقم(14): فناء لأحد البيوت الدمشقية القديمة

ملحق رقم(15): الأقواس التي تفصل القاعة الداخلية في البيت الدمشقي عن الفناء

ملحق رقم (16): نموذج لصغر النوافذ الخارجية

ملحق رقم (17): استخدام المشربيات لإعاقة الرؤية

ملحق رقم (18): اللباس التقليدي لسكان حلب القرن التاسع عشر

ملحق رقم (19): الأثاث الدمشقي القديم

الملحق رقم:(21): المسجد الأقصى خلال القرن التاسع عشر

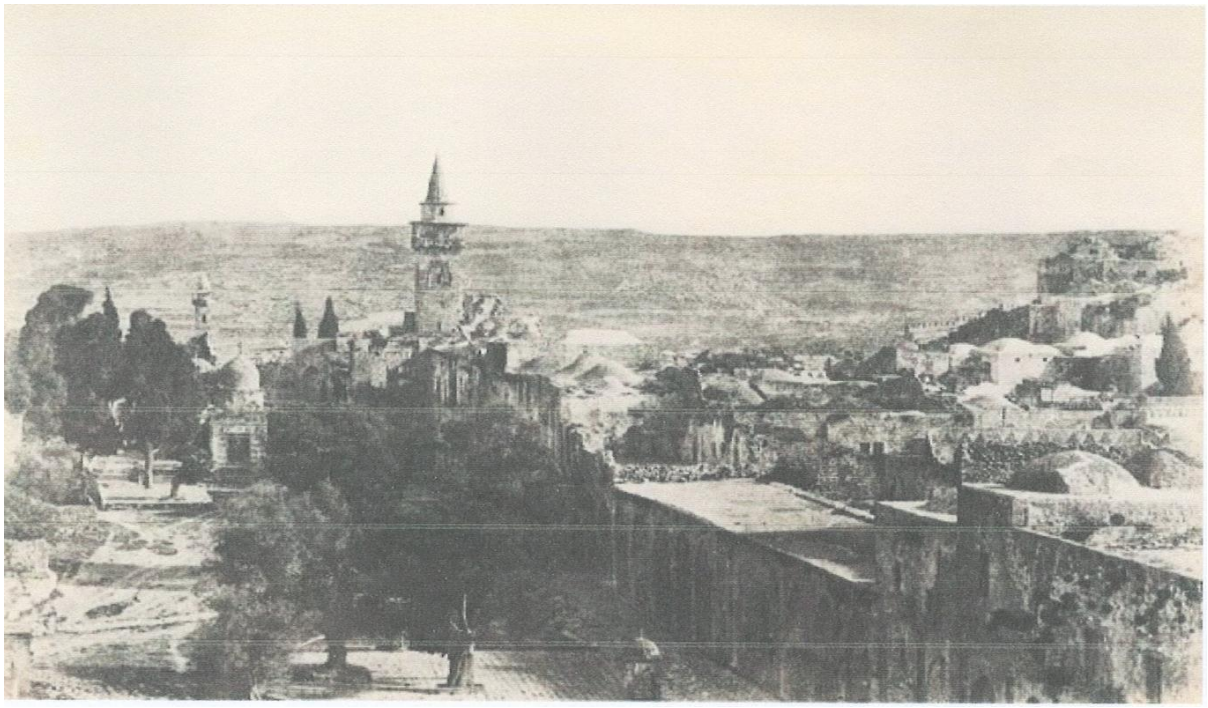

ملحق رقم (21): المحيط الخارجي للمسجد الأقصى القرن التاسع عشر

ملاحق الخرائط

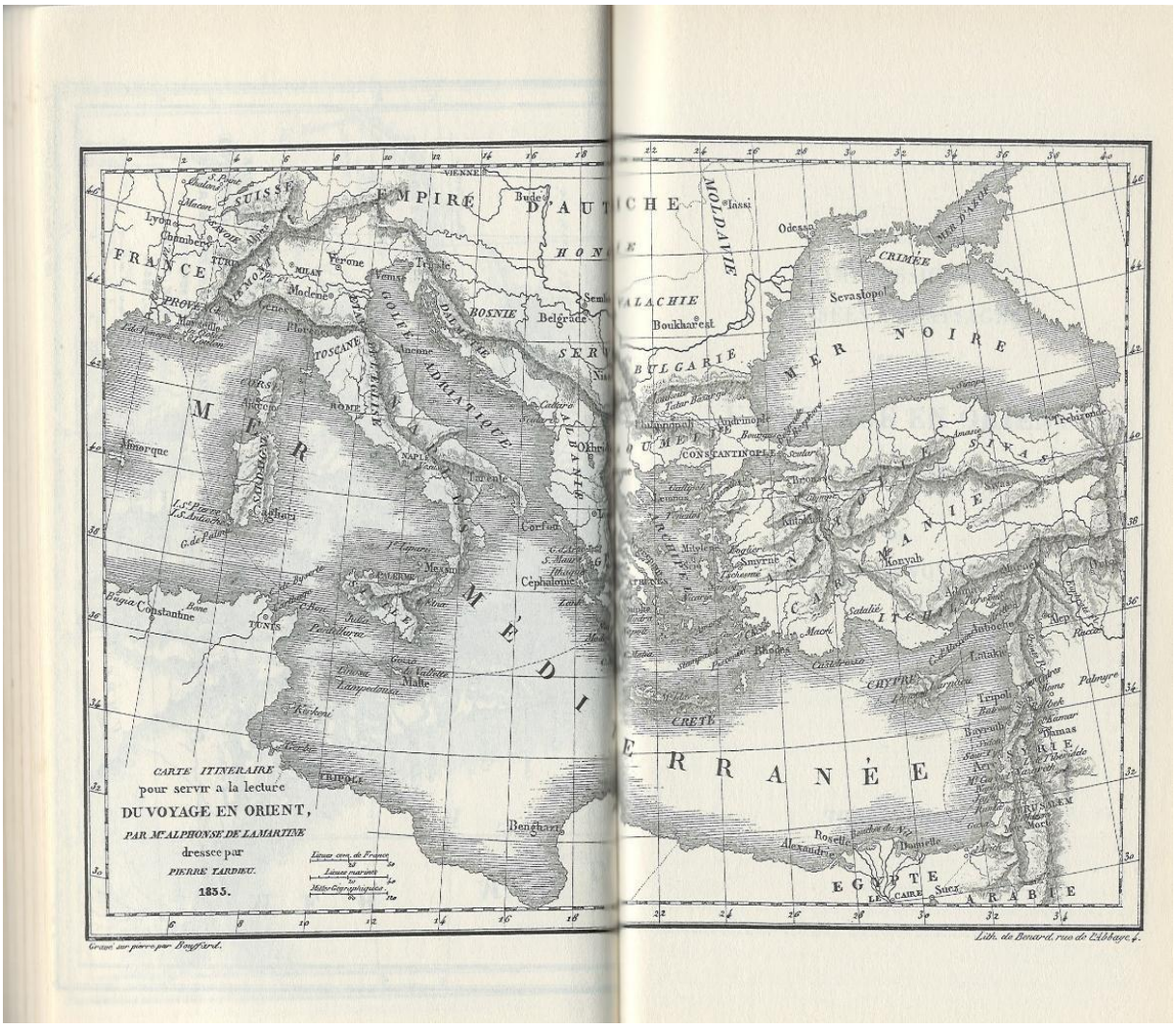

لحق رقم (1): خريطة مسار الرّحلة

ملحق رقم (2): خريطة الشام وردت في كتاب الرحلة

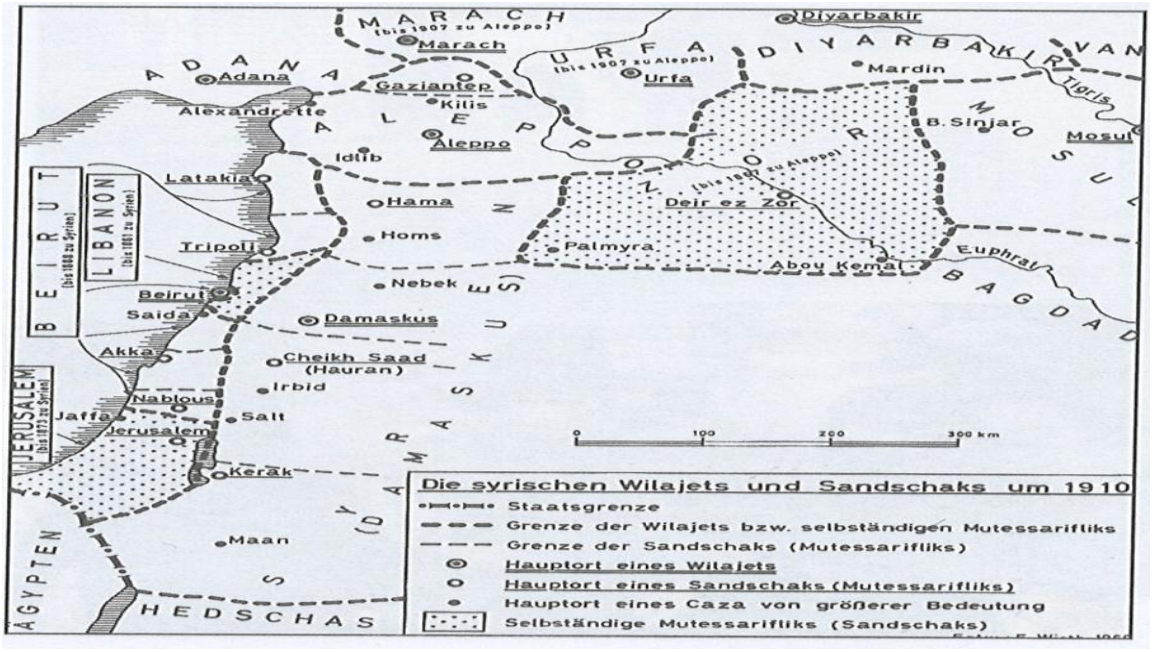

ملحق رقم (3): خريطة سوريا مطلع القرن التاسع عشر

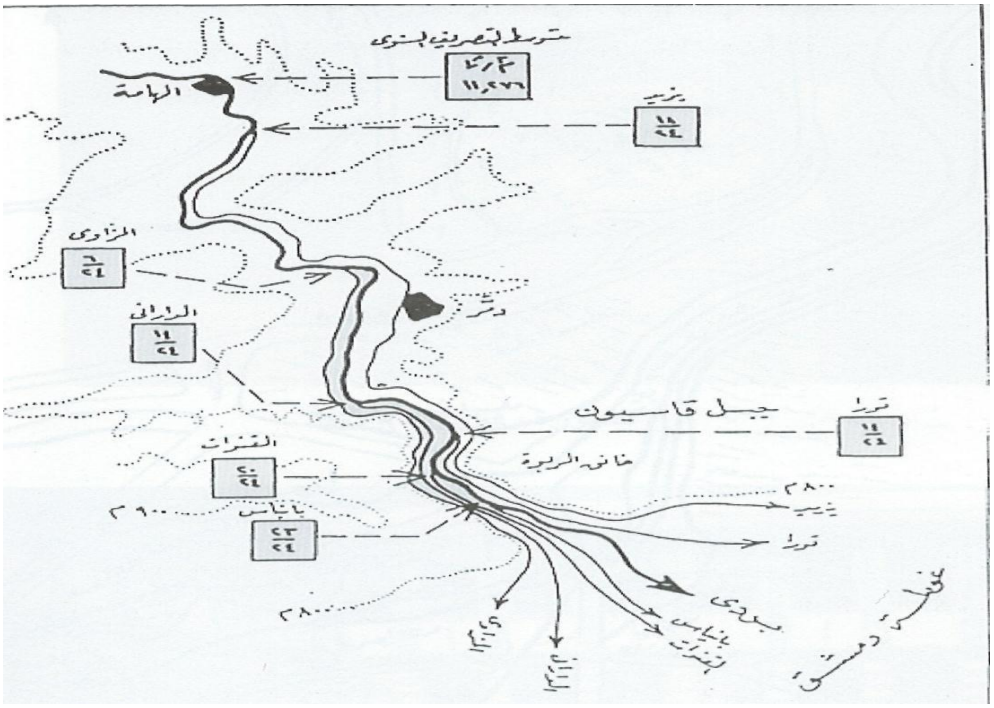

ملحق رقم (4): تفرّعات نهر بردى العابر لمدينة دمشق

ملاحق

النصوص

Dans la Turquie d'Europe, la seule grande ville est Andrinople[3] ; on peut y compter trente à quarante mille Turcs ; Philippopoli, Sophia, Nissa, Belgrade et les petites villes intermédiaires, autant. J'ajoute deux cent mille Turcs pour les parties de la Turquie que je n'ai pas visitées ; cela s'élève en tout à environ trois cent mille. Dans la Servie et la Bulgarie, il y a à peine un Turc par village ; je suppose qu'il en est de même dans les autres provinces de la Turquie d'Europe. En faisant la part des erreurs que j'ai pu commettre, et en attribuant à l'intérieur de l'Asie mineure une population turque bien supérieure à ce que les yeux et les relations en témoignent, je ne pense pas qu'en réalité la totalité de la population turque s'élève maintenant au-delà de deux ou trois millions d'âmes ; je suis même

الملحق رقم (1):مقتطف من الملخص السياسي في كتاب الرحلة : نبذة عن واقع الدولة العثمانية في أوربا الشرقية مع مطلع القرن التاسع عشر

loin de penser qu'elle monte si haut. Voilà donc la race conquérante, partie des bords de la mer Caspienne, et fondue au soleil de la Méditerranée ; voilà donc la Turquie possédée par un si petit nombre d'hommes, ou plutôt déjà perdue par eux ; car pendant que le dogme de la fatalité, l'inertie qui en est la conséquence, l'immobilité d'institutions, et la barbarie d'administration, réduisent presque à rien les vainqueurs et les maîtres de l'Asie, les races slaves, les races chrétiennes du nord et du midi de l'empire, les races arméniennes, grecques, maronites et la race arabe conquise, grandissent et multiplient par l'effet de leurs mœurs, de leurs religions, de leur activité. Le nombre des esclaves surpasse immensément le nombre des oppresseurs[1] ; les Grecs de la Morée, faible et misérable population, ont, dans un moment d'énergie, purgé seuls le Péloponèse de Turcs ; la Moldavie, la Valachie, ont secoué le joug ; les îles seraient toutes affranchies, sans le traité européen qui les garantit encore au sultan ; l'Arabie tout entière est disséquée en familles d'hommes inconnues les unes aux autres, tiraillées tour à tour par les Turcs et les Égyptiens, et travaillée, dans sa partie la plus énergique, par le grand schisme des Wahabi : les Arméniens sont, aux deux tiers, arrachés à la domination musulmane par les Russes et les Persans ; les Géorgiens sont russes, les Maronites et les Druzes seront maîtres de la Syrie et de Damas le jour où ils le voudront sérieusement ; les Bulgares sont une nombreuse et saine population, tributaire encore, mais qui à elle seule, plus nombreuse et plus organisable que les Turcs, s'affranchira d'un mot ; ce mot, les Serviens l'ont prononcé, et leurs magnifiques forêts commencent à se percer de routes, à se couvrir de villes et de villages ; le prince Milosch, leur chef, n'admet plus quelques Turcs à Belgrade que comme alliés, et non comme maîtres[2]. L'esprit de conquête, âme de osmanlis, s'est éteint ; l'esprit de prosélytisme armé s'est évanoui depuis longtemps chez eux ; leur force d'impulsion n'existe nulle part ; leur force de conservation, qui serait dans une administration uniforme, éclairée et progressive, n'est que dans la tête de Mahmoud ; le fanatisme populaire est mort avec les janissaires, et si les janissaires

الملحق رقم (2): مقتطف من الملخص السياسي في كتاب الرحلة :واقع الأقليات والقوميات في بلاد الشام –لبنان-

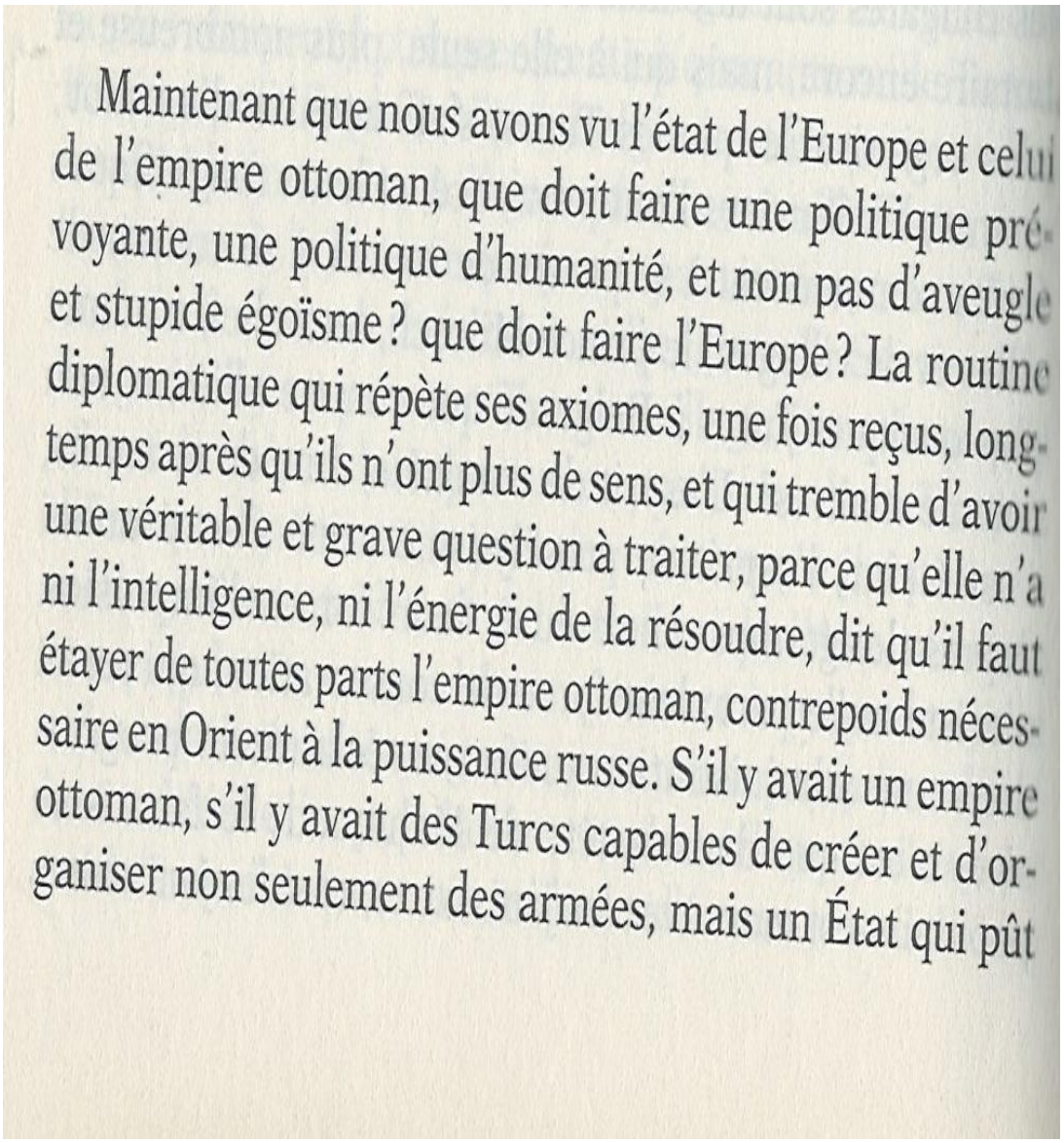

Maintenant que nous avons vu l'état de l'Europe et celui de l'empire ottoman, que doit faire une politique prévoyante, une politique d'humanité, et non pas d'aveugle et stupide égoïsme? que doit faire l'Europe? La routine diplomatique qui répète ses axiomes, une fois reçus, longtemps après qu'ils n'ont plus de sens, et qui tremble d'avoir une véritable et grave question à traiter, parce qu'elle n'a ni l'intelligence, ni l'énergie de la résoudre, dit qu'il faut étayer de toutes parts l'empire ottoman, contrepoids nécessaire en Orient à la puissance russe. S'il y avait un empire ottoman, s'il y avait des Turcs capables de créer et d'organiser non seulement des armées, mais un État qui pût

الملحق رقم (3):مقتطف من الملخص السياسي في كتاب الرحلة :دعوة لمارتين أوربا للتدخل في المسألة الشرقية

veiller sur le revers de l'empire russe, et l'inquiéter sérieusement pendant que l'Europe méridionale le combattrait, peut-être cette politique serait-elle conservatrice. Il faudrait être bien hardi ou bien insensé pour dire à l'Europe : Effacez de la carte un empire existant et plein de vie ; enlevez un poids immense de la balance si mal équilibrée du monde politique : le monde ne s'en apercevra pas ; mais l'empire ottoman n'existe plus que de nom[1] ; sa vie est éteinte, son poids ne pèse plus ; ce n'est plus qu'une vaste place vide que votre politique anti-humaine veut laisser vide au lieu de l'occuper, au lieu de la remplir de populations saines et vivantes que la nature y a déjà semées, et que vous y sèmerez et multiplierez vous-même. Ne précipitez pas la ruine de l'empire ottoman, ne prenez pas le rôle de la destinée, n'assumez pas la responsabilité de la Providence ; mais ne soutenez pas, par une politique illusoire et coupable, ce fantôme à qui vous ne pourrez jamais donner que l'apparence et l'attitude de la vie, car il est mort. Ne vous faites pas les auxiliaires de la barbarie et de l'islamisme contre la civilisation, la raison et les religions plus avancées qu'ils oppriment. Ne soyez pas les complices de la servitude et de la dépopulation des plus belles parties du monde ; laissez s'accomplir la destinée ; regardez, attendez, tenez-vous prêts.

الملحق رقم (4): تابع للنص السابق

Si vous faites la guerre, vous aurez la guerre avec tous les maux, toutes les ruines qu'elle comporte, vous ferez le mal de l'Europe et de l'Asie, et le vôtre ; et, la guerre finie de lassitude, rien de ce que vous aurez voulu empêcher ne sera empêché ; la force des choses, la pente irrésistible des événements, l'influence des sympathies nationales et des religions, la puissance des positions territoriales, auront leur inévitable effet. La Russie occupera les bords de la mer Noire et Constantinople ; la mer Noire est un lac russe dont Constantinople est la clé[2]. L'Autriche se répandra sur la Servie, la Bulgarie et la Macédoine, pour marcher du même pas que la Russie ; et la France, l'Angleterre et la Grèce, après s'être disputé quelque temps la route, occuperont l'Égypte, la Syrie, Chypre et les îles. L'effet sera le même ; seulement des flots de sang auront été versés sur terre et sur mer. Des divisions forcées, arbitraires, faites par le hasard des batailles, auront été substituées à des divisions rationnelles de territoires, des colonisations utiles auront perdu des années, et pendant ces années, peut-être longues, la Turquie d'Europe et l'Asie auront été en proie à une anarchie et à des calamités incalculables. Vous y trouverez plus de déserts encore que les Turcs disparus n'en auront laissé. L'Europe aura reculé au lieu de suivre son mouvement accéléré de civilisation et de prospérité, et l'Asie sera restée plus longtemps morte dans son sépulcre. Si la raison préside aux destinées de l'Europe, peut-elle hésiter ? Et si elle hésite, que dira l'histoire de ses gouvernements et de ses guides ? Elle dira que le monde politique a été conduit au dix-neuvième siècle par la folie et l'égoïsme suicide, et que les cabinets et les peuples ont rejeté à la Providence le plus magnifique présent qu'elle ait jamais offert aux nécessités d'une époque, et aux progrès de l'humanité.

الملحق رقم (5):مقتطف من الملخص السياسي في كتاب الرحلة :إقتراح لمارتين أسلوب الحماية الأوروبية على أقاليم الدولة العثمانية

Voici ce qu'il y a à faire. Rassembler un congrès des principales puissances qui ont des limites sur l'empire ottoman, ou des intérêts sur la Méditerranée ; établir, en principe et en fait, que l'Europe se retire de toute action ou influence directe dans les affaires intérieures de la Turquie et l'abandonne à sa propre vitalité et aux chances de ses propres destinées, et convenir d'avance que, dans le cas de la chute de cet empire, soit par une révolution à Constantinople, soit par un démembrement successif, les puissances européennes prendront chacune, à titre de protectorat, la partie de l'empire qui lui sera assignée par les stipulations du congrès ; que ces protectorats, définis et limités, quant aux territoires, selon les voisinages, la sûreté de frontières, l'analogie de religions, de mœurs et d'intérêts, ne porteront pas atteinte aux droits de souveraineté locales, préexistants dans les provinces protégées, et ne consacreront que la suzeraineté des puissances. Cette sorte de suzeraineté définie ainsi, et consacrée comme droit européen, consistera principalement dans le droit d'occuper telle partie du territoire ou des côtes, pour y fonder, soit des villes libres, soit des colonies européennes, soit des ports et des échelles de commerce. Les nationalités diverses, les classifications de tribus, les droits préexistants de tout genre, seront reconnus et maintenus par la puissance protectrice. Ce n'est qu'une tutelle armée et civilisatrice, que chaque puissance exercera sur son protectorat ; elle garantira son existence et ses éléments de nationalité, sous le drapeau d'une nationalité plus forte ; elle la préservera des invasions, des démembrements, des déchirements et de l'anarchie ; elle lui fournira les moyens pacifiques de développer son commerce et son industrie.

Ceci posé, le mode d'action et l'influence des protectorats sur les parties de l'Orient qui leur échoiront, varieront selon les localités et les mœurs, et découleront des circonstances spéciales : voici comment les choses procéderont d'elles-mêmes.

الملحق رقم (6):مقتطف من الملخص السياسي في كتاب الرحلة: تابع للنص السابق

Quand à l'Europe elle-même, son état convulsif, révo
lutionnaire, exubérant de population, d'industrie et d
forces intellectuelles sans emploi, doit lui faire bénir l
Providence, qui lui ouvre à propos une si immense car
rière de pensée, d'activité, de noble ambition, de prosély
tismes civilisateurs, de travail industriel et agricole
d'emplois et de rétributions de tout genre ; des flottes e
des armées à conduire, des ports et des villes à créer, de
colonies intérieures à fonder, des déserts fertiles à exploiter
des industries nouvelles à organiser, des bras novices à
employer, des routes à percer, des alliances à tenter, des
populations saines et jeunes à guider, des législations à
étudier et à éprouver, des religions à approfondir et à
rationaliser, des fusions de mœurs et de peuples à consom
mer, l'Afrique, l'Asie et l'Europe à rapprocher et à unir
par des communications nouvelles qui mettent les Indes
à un mois de Marseille, et le Caire en rapport avec Cal
cutta. Les plus beaux climats de l'univers, les fleuves, les
plaines de la Mésopotamie, offrant leurs ondes ou leurs
routes à l'activité multipliée du commerce universel ; les
montagnes de Syrie fournissant un intarissable dépôt de
houilles, au bord de la mer, à d'innombrables vaisseaux
à vapeur ; la Méditerranée, devenue le lac de l'Europe
méridionale, comme le Pont-Euxin devient le lac russe,
comme la mer Rouge et le golfe Persique deviennent des
lacs anglais ; des nations sans territoire, sans patrie, sans
droits, sans lois, sans sécurité, se partageant, à l'abri des
législations européennes, les lieux où elles campent main
tenant, et couvrant l'Asie mineure, l'Afrique, l'Égypte,
l'Arabie, la Turquie d'Europe et les îles, de peuples labo
rieux et affamés des lumières et des produits de l'Europe.
Quel tableau, quel avenir pour les trois continents ! Quelle
sphère sans bornes d'activité nouvelle pour les facultés et
les besoins qui nous rongent ! Quel élément de pacifica
tion, d'ordre intérieur et de progrès réguliers pour notre

الملحق رقم (7):مقتطف من الملخص السياسي في كتاب الرحلة: إشارة لماتين إلي الآثار الإجابية لأسلوب الحماية على أوربا

orageuse époque ! Eh bien ! ce tableau n'est que la vérité, la vérité infaillible, facile, positive. Il ne faut à l'Europe qu'une idée juste et un sentiment généreux pour le réaliser ; elle n'a qu'un mot à dire, et elle se sauve elle-même, en préparant un large avenir à l'humanité.

Je n'entrerai pas ici dans la discussion des limites des protectorats d'Europe et d'Asie, et des compensations que ces limitations pourraient amener dans l'Europe même ; c'est l'œuvre d'un congrès secret entre les agents des principales puissances seulement. Les nationalités établies sont en quelque sorte l'individualité des peuples. Il y faut toucher le moins possible dans les négociations ; la guerre seule y touche, et c'est assez. Ces compensations seraient donc peu de chose à accorder ; elles ne devraient pas entraîner ces interminables discussions, et les querelles multipliées qu'on objecte. Je le disais tout à l'heure, dans certains cas, les facultés sont un droit. Les petites puissances de l'Europe ne doivent point embarrasser les grandes, qui ont de fait la voix prépondérante et sans appel, dans le grand conseil européen. Quand la Russie, l'Autriche[1], l'Angleterre et la France se seront entendues, et auront promulgué une décision ferme et unanime, qui est-ce qui les empêchera d'exécuter ce que leur dignité, leurs intérêts et le salut du monde leur auront inspiré ? Personne. Les petites diplomaties murmureront, intrigueront[2], écriront, mais l'œuvre sera accomplie, et la force de l'Europe renouvelée.

FIN DU VOYAGE EN ORIENT

الملحق رقم (8):مقتطف من الملخص السياسي في كتاب الرحلة:تابع للنص السابق

فهرس الملاحق:

1. قائمة الصور :

- صورة (1) : الفونس دو لمارتين.....**110**
- صورة (2) وصورة (3) : قصر الحكومة بيروت (ق19) و دير القمر "عاصمة الدروز" و قصر الامير بشير الاول.....**111**
- صورة (4) وصورة (5) : المسرح الروماني القديم (سوريا) و المدينة الرومانية.....**112**
- صورة (6) وصورة (7) : كاتيدرائية سانت هيلينا (سوريا) و القلعة القديمة (حلب) **113**
- صورة (8) وصورة (9): الاسواق الشعبية الدمشقية (ق19) ونافورة مياه بأسواق دمشقية.....**114**
- صورة (10) : أحد أبواب الحارات الدمشقية القديمة.....**115**
- صورة (11) : الأزقة في الحارات الدمشقية القديمة.....**116**
- صورة(12) : خان العمود.....**117**
- صورة (13) : جزء من قصر" أسعد باشا ".....**118**
- صورة (14) : فناء لاحد البيوت الدمشقية القديمة **119**
- صورة (15) : الأقواس داخل فناء لبيت دمشقي **120**
- صورة (16) وصورة (17) : نوافذ المنازل الدمشقية.....**121**
- صورة (18): اللباس التقليدي لسكان حلب (ق 19) **122**
- صورة (19) الأثاث الدمشقي القديم.....**123**
- صورة (20) وصورة (21) : المسجد الأقصى (ق 19).....**124**

2. قائمة الخرائط

- خريطة (1) : مسار الرحلة **126**
- خريطة (2) : خريطة الشام واردة في كتاب الرحلة.....**127**

- خريطة (3) و (4): سوريا مطلع القرن 19 و تفرعات نهربردى.....**128**

3. قائمة النصوص

- نص (1) : مقتطف من الملخص السياسي للرحلة.....**130**
- نص (2) : مقتطف من الملخص السياسي للرحلة.....**131**
- نص(3) : مقتطف من الملخص السياسي للرحلة.....**132**
- نص (4) : تابع للنص السابق.....**133**
- نص (5) : مقتطف من المتخص السياسي للرحلة.....**134**
- نص (6) : مقتطف من الملخص السياسي للرحلة.....**135**
- نص(7) : مقتطف من الملخص السياسي للرحلة.....**136**
- نص (8) : تابع للنص السابق.....**137**

4. فهرس المحتويات.....138

فهرس المحتويات

المقدمة

الفصل الأول: الاستشراق وأدب الرحلة

-المبحث الأول : الاستشراق 14

- **مفهومه(لغة واصطلاحا).....15**
- **جذوره، دوافعه، أهدافه.....18**
- **مؤسساته.....20**
- **الاستشراق الفرنسي في القرن التاسع عشر.....24**

-المبحث الثاني: أدب الرحلة.....29

- **مفهومه، النشأة والتطور.....29**
- **أدب الرحلة الفرنسي وعلاقته بالاستشراق.....31**

الفصل الثاني: لمارتين حياته وأعماله

- **المبحث الأول:لمارتين.....34**
- **حياة لمارتين(من المولد الى الوفاة).....34**
- **أعماله وأثاره(الأدبية، التاريخية، السياسية).....37**

الفصل الثالث: رحلة لمارتين الى الشرق (1832-1833)

- المبحث الأول: الرحلة.....40

- دوافعها، الاستعداد والانطلاق.....40

- المبحث الثاني :المحطات الكبرى للرحلة

- اليونان.....44

- لبنان.....53

- فلسطين.....68

- سوريا.....78

- تركيا: (العاصمة).....81

الفصل الرابع: القيمة التاريخية والسياسية للرحلة

- المبحث الأول: القيمة التاريخية للرحلة.....89

- المبحث الثاني: القيمة السياسية للرحلة.....92

- الخاتمة 96

- قائمة المصادر والمراجع.....98

- قائمة الملاحق.....108

- فهرس المحتويات.....138

ملخص

المشرق العربي من خلال " ألفونس دولمارتين" وكتابه : رحلة الى المشرق (1832- 1833)، وهي دراسة تتناول مساهمة الرحالة الاوروبيون وعلى وجه الخصوص الفرنسيون في تدوين تاريخ منطقة المشرق العربي تحت الحكم العثماني خلال النصف الاول من القرن 19 م و معالجة أوضاع المنطقة وتطوراتها السياسية والحضارية من زاوية أوروبية وهذا باستغلال رحلاتهم المسجلة في ما يعرف بكتب الرحلة، واعتمدنا كنموذج في الدراسة :رحلة الفرنسي (رجل سياسة وشاعر) : ألفونس دولمارتين الى المشرق العربي بين سنتي 1832 و 1833 والذي سلط من خلالها هذا الرحالة الضوء على مختلف الدول في المشرق العربي وبعض الدول الواقعة في غرب آسيا وشرق أوروبا الخاضعه للحكم العثماني وما ميزها من أحداث ومستجدات سياسية مع وصف دقيق لاوضاعها الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية وانتهى في الأخيرالى ملخص سياسي طرحه أمام الجمعية العامة حاول من خلاله أن يستغل المعلومات المتوصل اليها في خدمة مخططات استعمارية فرنسية تستهدف المنطقة مقترحا أسلوبا استعماريا جديدا" هو: الحماية.

الكلمات الدالة باللغة العربية: الاستشراق الاوروبي - أدب الرحلة - الاستشراق الفرنسي - ألفونس دولمارتين - المشرق .

Abstract

The Arab East through "Alphonse de Lamartine and his book: Memories, impressions, thoughts and scenes during the journey to the Levant (1832-1833). The study examines the contribution of European travelers particulary the french to documenting the history of the arab East under Ottoman rule during the first half of the 19th century. It analyses the region’s conditions and political and civilizational developments from an European perspective by utilizing their recorded travel accounts , knows as travel literature. The study focuses on the journey of the french politician and poet: Alphonse de lamartine. to the arab East between 1832 and 1833 Lamartine shed light on various countries in the arab East as well as some territories in Western Asia and Eastern Europe under Ottoman rule, he provided a detailed description of the region's political events, economic, social and cultural conditions. Ultimately Lamartine presented a political summary to the General Assembly attempting to use the information gathered during his travel to serve French colonial plans and objectives in the region, he proposied a new colonial strategy: the system of protection.

Key words: Orientalisme - Travel literature - French orientalisme - The Levant - Alphonse de lamartine - Sham - Deruz - Maraunites - Lebanon - Palistine – Turkish - Protection.